مفارقات صوتية

بين أهل الدراية وأهل الأداء القرآني

دكتور

حمدي عبد الفتاح السيد بدران

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، لا عاصم من الزَّلَل إلاه، ولا حافظ من الخطأ والخَطَل سواه، والصلاة والسلام على من عصمه من الخطأ والزلل مولاه، سيدنا محمد – صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد .....

فأبدأ بقول ربنا – جل وعز–: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(١)، علَّ الله يحفظني من الزَّيغ والزلل، والخطأ والخلل، فقد ظللت وقتا طويلا متردِّدا وَجِلا؛ فما كان لمثلي– وبضاعتي مزجاة– أن يجرؤ على كتابة حرف يتصل بالقرآن الكريم، أقدس كلام، وأكرم كتاب، خاصة أن القضية التي تَهِمُّ النفْسُ بولوج غمراتها– شائكة متداخلة متشابكة، تختلف القلوب والعقول في أمرها، والأكثرون على رفض وُلُوجِها، ومَنْعِ الحديثِ عنها، أو الاقتراب منها.

ومع تقادُمِ العهدِ بي، وكثرةِ سماعي للقرآن يُتلى في بلاد كثيرة، وأماكن ومحاريب عديدة، وإذاعات وقنوات تلفزيونية متعددة، ومن قُرَّاء وشيوخ ضعُفت قدرتي عن حصر عددهم، مع تبايُن مشاربهم واختلاف مواردهم، وسمعت من أكثرهم ما يخالف دراستي في عِلْمَيِ التجويد والأصوات، ويخالف بعضَ ما تلقيت عن شيوخي من قُرَّاء القرآن الكريم– كل ذلك كان يقوِّي في نفسي ضرورة خوض غمار هذا البحر اللُّجِيِّ؛ للوقوف على حقيقة الأمر بالرغم من وعورة المسلك، وشدَّة التصعُّد والمنحَدَر؛ ذلك أن الأمر يصطدم مباشرة بقضية التلقي وحُجِّيَّتِه، والاقترابُ من هذه القضية يُشعِل الحرب ويُؤَجِّجُ وَطِيسَها ، لكن الحق أحقُّ أن يُتَّبَع، وهذا العلم عينٌ من عيون الدين وواجب من واجباته.

---

(١) البقرة / ٢٨٦.

ظللت- والحال هذه- تُجاذبني نفْسي وأُجاذبها، حتى استخرت الله في أطيب مكان وأطهر بقعة في الأرض، حيث الحرم المكي الشريف؛ فطابت النفس واطمأن القلب، وتوكلت على الله معتمدا عليه، مستعينا به، راجيا منه الهداية والرشاد، والحفظ والسداد، فسطرت هذه الصفحات، واسِمًا إياها باسم (مفارقات(١) صوتية بين أهل الدراية وأهل الأداء القرآني).

وسبب هذه الدراسة ما لاحظته في قراءة كثير من القراء- الآن- من وجود اختلاف بين أدائهم وما عليه مقرَّرات أهل التجويد والقراءة؛ فأردت الوقوف على حقيقة الأمر، والوصول إلى أصل يُعتمَد عليه لقبول ما لاحظته في قراءتهم، مُسْتَنْفِدا الوسعَ والجهدَ في البحث عن وجه لصواب ما سمعت منهم، فهو أحق من الحكم بالخطأ وأولى، وأوفق لمقرَّرات البحث العلمي؛ فآلَيْتُ على نفسي أن أتجرَّد عن الرَّأْي والهوى؛ بغية الوصول إلى الحق الذي هو طِلْبة أهل الحق والعلم، تاركا الحكم لأهل الفن من علماء التجويد والقراءة، فهم أهل الدراية وأرباب الرواية.

وحرصت كل الحرص أن أصدُر في جميع جزئيات الدراسة عن كلام القدماء من أهل الفن، مستأنِسًا بكلام المحدثين من علماء التجويد والأصوات واللغة، فجعلت كلامهم لا يعدو أن يكون إكمالا لمنهج البحث، وليس تأسيسا لحكم من الأحكام.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُمَهَّد له بوقفات لا بد منها، بيانها كما يلي:

الوقفة الأولى: إلامَ نحتكم عند الاختلاف في القراءة؟

الوقفة الثانية: هل كلُّ مَن تلقَّى وسمع يُؤَدِّي كما سمع؟

الوقفة الثالثة: ما ضابط القارئِ المُتْقِنِ المقبولِ عند أهل الفن؟

---

(١) مُفارقات جمع مُفارَقة، وهي إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالاستناد إلى اعتبار خفيّ على هذا الرأي العام حتى وقت الإثبات. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل (فرق) ، ط. عالم الكتب، الأولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

الوقفة الرابعة: ما التجويد؟

الوقفة الخامسة: المعتبر عند أهل القراءة حُسْنُ الصوت أم حُسْنُ الأداء؟

وقد تلا هذه الوقفات الحديثُ عن الأصوات التي لاحظت فيها مفارقة بين الدراية والأداء، وهي كما يلي:

صوت الهاء، صوت العين، صوت القاف، صوت الجيم، صوت الضاد، صوت الطاء، صوتا الكاف والتاء، صوت الغُنَّة.

وختمت بنتائج البحث وتوصياته، ثم جريدة المصادر، ففهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله القبول والتوفيق والسداد في كل ما ذكرت في هذه الصفحات، فما كان فيها من توفيق وحقٍّ فمن الله- وله الحمد والمنة-، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، وأسأله- سبحانه العفو والغفران، وحسبي عِلْمُ ربي أني ما صدرت في كلمة مما ذكرت عن رَأْيٍ أو هَوًى، وإنما الحق أبتغي، والغيرة على كتاب ربي دفعتي، وعُذري أنني بشر.

وإني لأرجو أن يفسح القارئ الكريم لكلماتي صدرَه، وأن يراجع- فيما ذكرتُ- كلامَ أهل التجويد والقراءة، فإن وجَد كلامي حقًّا فأسأله الدعاء، وإن وجد غير ذلك فَلْيُراجعني فيه، وَلْيُصوِّب لي ما كان من خطأ، وَلْيُعْلِمْني به؛ فهذا حق المسلم على المسلم، والعلم رَحِمٌ بين أهله، ولِئَنْ أكون مخطئا في الدنيا ويُصَوَّب لي أحبُّ إليَّ وأيْسر من حساب الآخرة.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وأختم بما به بدأت ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(١).

(١) البقرة / ٢٨٦.

تمهيد

وقفات لا بد منها

قبل الولوج في قضايا هذا البحث ينبغي الوقوف مع بعض الأمور اللازم بيانها؛ إذ عليها المعتمد في هذه الدراسة، وهي كفيلة- إن شاء الله- بإزالة ما يمكن أن يعرض للقارئ الكريم من اعتراض أو تمعُّض ؛ إذ ليست بغيةُ هذه الدراسة البحثَ عن الأخطاء، أو الكشفَ عن المعايب وإزالةَ الحُجُب عن السوءات، إنما بغيتها - والله شهيد- إحقاق الحق، والدفاع عن كتاب الله الكريم، وصونه عن شبهة التحريف والتبديل، وهي باب من أبواب تحقيق وعد ربنا الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

وفي هذه الوقفات سؤالات تُوقفنا الإجابةُ عنها على حقائق وضعها أهل التجويد والقراءات يجب التزامها، ولا يجوز تجاوُزُها ، أو غضُّ الطرف عنها، وسيكون اعتمادي فيها- بعد الله- على كلام أئمة التجويد والقراءة المتَّفَقِ على إمامتهم وقبول مقرَّراتهم، وبيان ذلك — إن شاء الله — فيما يلي:

الوقفة الأولى: إلامَ نحتكم عند الاختلاف في القراءة؟

من المسلَّم به أنْ ليست القراءة عن هوًى ورأْي، إنما القراءة بالتلقي والسماع عن الشيوخ الثقات، يقول الشيخ المرصفي: " ولا يجوز لأحد ما أن يقرأ بهذه الأحكام أخذًا من هذا الكتاب أو من غيره- مما دُوِّن فيه مثلُ ذلك- دُونَ أن يرجع إلى الشيوخ المقرئين المسنِدِين في هذا الشأن، فيأخذ عنهم، ويعرض عليهم القرآن الكريم من أوله إلى آخره ... وعليه فلا بد من الرجوع إلى التلقي من أفواه الشيوخ

(١) الحجر / ٩ .

الذي هو الأصل في نقل القرآن الكريم. وما تسطير قواعد هذا الفن في بطون الأسفار- القديم منها والحديث- إلا للاستئناس بها، والرجوع إليها عند الحاجة، وأما إحكام النطق بألفاظ القرآن الكريم فمردُّه أولًا وآخرًا إلى المشافهة والأخذ من أفواه المتقنين من مشايخ الإقراء " (١).

ومع التسليم التام بهذا الأصل في القراءة فإننا نجد بعض اختلافات بين قارئ وآخر، وكلٌّ منهما يتمسك بما يقرأ ويعتصم، محتجا أنه تَلَقَّاه هكذا، فيحكم على غيره بالخطأ والزيغ، بل ربما تجاوز إلى الحكم عليه بالهوى والرأي، وسنرى ذلك- إن شاء الله- في ثنايا هذه الدراسة.

فإلى من نَحْتَكِم؟ خاصة أن الحَكَم قد يحكم لأحدهما معتمدا هو الآخر على التلقِّي، فيأتي حَكَمٌ آخر فيحكم بغير ما حَكَمَ الأول معتمدا أيضا على التلقي.

وهنا ندخل دائرة لا خروج منها، لكن علماءنا- رحمهم الله- وضعوا لنا ضوابط وموازين نضبط بها قراءتنا، ونَزِنُ بها أداءنا، وجعلوها حَكَمًا وفَصْلًا عند اختلافنا.

فجعلوا مخارجَ الحروف وصفاتِها موازين يُضبط به صحيح الحروف من سقيمها ، فما كان موافقا لها فهو الصحيح المقبول ، وما كان غير موافق لها فهو المرفوض المنكر الذي لا يُعتمد عليه ولا يُؤْبه به ولا بصاحبه.

يقول الشاطبي (٢):

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، للشيخ عبد الفتاح المرصفي، ٢٩٨/١، ط. مكتبة طيبة- المدينة المنورة، الثانية.

(٢) متن الشاطبية- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للشاطبي، تح. محمد تميم الزعبي /٩١ ، ط. مكتبة دار الهدى ، ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ، الرابعة ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م.

وهـاكَ مـوازينُ الحـروف ومـا حكَـى جهَابِــذَةُ النُّقَــاد فيــه مُحَصَّـــلا

وَلاَ رِيبَـــةٌ فِــي عَيْـــنِهِنَّ وَلاَ رِبَـــا وَعِنْـدَ صَلِيلِ الزَّيْـفِ يَصْـدُقُ الابْـتِلا

وَلاَ بُـــدَّ فِـــي تَعْيِيـــنِهِنَّ مِـــنَ الأُولَـــى عُنُـــوا بِالْمَعَـــانِي عَـــامِلِيْنَ وَقُـــوَّلا

يقول أبو شامة في شرحه: " وخذ الذي حكى فيها الجهابذةُ من التعبير عنها، واستخراج صفاتها ... أي عند نُطْقِ الناطق بالحرف يَبِين للناقد العارفِ بالمخارج والصفات أن نُطْقَه به على صحة أو فيه خلل؛ فصوت المختل كصليل الزيف ... لا بد لنا في حصول تعيينهن والتعريف بهن من نقل أقوال الذين اعتنوا بالمعاني فاستنبطوها وأحكموها ... ولا بد في تعيين ما تتميز به من المخارج والصفات من الاستعانة بعبارة المتقدمين، وإن كان الحس يشهد بذلك" (١).

فهذه الموازين التي حكاها وضبطها جهابذة نقاد هذا العلم- هي عين الدراية، وهؤلاء الجهابذة هم أنفسهم أهل الرواية الأُوَل، الذين أقرَّتِ الأُمَّةُ بتوثيقهم، ودانت لهم بالإمامة، وهم أعلم بطرق الأداء التي وضعوا لها موازين الصحة والاحتكام .

وقد ذكر لنا أئمةُ القراءة أن الاختلاف الذي كثُر بين بعض من لا يُعْتَمَد عليهم في صحة القراء والأداء- كان السببَ الذي لأجله هَبَّ الأئمة لوضع كتبهم، وتحرير مصنَّفاتهم، يقول أبو شامة: " ثم إن القراء بعد هؤلاء كثروا، وتفرقوا في البلاد وانتشروا، وخَلَفَهم أممٌ بعد أمم، عُرِفَت طبقاتُهم، واختلفت صفاتُهم، فمنهم المحكِمُ للتلاوة المعروفُ بالرواية والدِّراية، ومنهم المقتصِر على وَصْفٍ من هذه الأوصاف،

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة، تح. إبراهيم عطوة عوض / ٧٤٤، ط. دار الكتب العلمية.

وكثر بسبب ذلك بينهم الاختلافُ، وقَلَّ الضبطُ، واتسع الخَرْقُ، والْتَبَسَ الباطلُ بالحق؛ فمَيَّزَ جهابذةُ العلماء ذلك بتصانيفهم، وحَرَّرُوه وضبطوه في تواليفهم "(١).

وبهذا لم يبق لقائل مقال، فلْنعرِضِ القراءةَ على هذه الضوابط؛ فنقبل ما وافقها، ونرفض ما تجاوزها، ونكون بذلك ملتزمين الرواية والدراية معا.

وسيجد القارئ الكريم لهذه الدراسة أني لم أصدر فيها عن هوًى، ولم أخرج عن مُقَرَّرات أئمة التجويد والقراءة المجْمَع على إمامتهم وقبولهم، بل جعلت كلامهم الفصل في جميع مواضع الاختلاف، والله المستعان، وعليه أتوكَّل.

وإذا كان كلا القارئين يعتصم بالتلقي ويحتكم إلى سماعه من الشيخ؛ فهنا سؤال يُثار في الوقفة التالية.

الوقفة الثانية: هل كلُّ من تلقَّى وسمع يُؤَدِّي كما سمع؟

الإجابة عن هذا السؤال لا تحتاج منا إلى اجتهاد، ولا إعمال رأْي، بل لا بد من الرجوع إلى أهل الفن، والوقوف على مقرراتهم في هذه القضية الشائكة.

ولنستمع هنا لكلام دقيق فاصل لواحد من أكبر أئمة القراءة وشيخ شيوخها، إنه أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، حيث يحدثنا عن تفاضُل القراء وتفاوتهم، فيقول: " وحَمَلةُ القرآن متفاضلون في حَمْلِه، ولِنَقَلَةِ الحروف منازلُ في نَقْلِ حروفِه ... فمن حَمَلَة القرآن المعرِبُ العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارفُ باللغات ومعاني الكلمات ... ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداءُ لما تَعَلَّم، لا يعرف الإعرابَ ولا غيره، فذلك الحافظ، فلا يلبث مِثْلُه أن

(١) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلَّق بالكتاب العزيز، لأبي شامة، تح. إبراهيم شمس الدين / ١٢٩، ط. دار الكتب العلمية– بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ينسى إذا طال عهده؛ فيُضَيِّعَ الإعرابَ لشدة تَشَابُهِهِ وَكَثْرَةِ فتحِه وضمِّه وكسرِه في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية، ولا بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه.

وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع، وتَشْتَبِهُ عليه الحروفُ، فيقرأ بلَحْنٍ لا يعرفه، وتدعوه الشُّبْهَةُ إلى أن يَرْوِيَهُ عن غيره ويُبَرِّئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مُصَدَّقًا فيُحْمَل ذلك عنه، وقد نَسِيَهُ ووهم فيه، وجَسَرَ على لزومه والإصرار عليه. أو يكون قد قرأ على من نَسِيَ وضَيَّع الإعرابَ ودخلته الشُّبْهَةُ فتَوَهَّم، فذلك لا يُقَلَّدُ القراءةَ، ولا يُحْتَجُّ بنَقْلِهِ"(١).

إن هذا الصنف من القراء قد تلقَّى وسمع سماع صحيحا، ومفهوم من كلام الشيخ أنه أجاد الأداء كما سمع، لكنه لا يملك إلا السماع والتلقي، فلا يلبث- كما يقول الشيخ- أن ينسى ما سمع لطول العهد وتقادُم الزمن، وليس عنده علم بالعربية، ولا بصر بالمعاني يعصمه من الاختلاط، ويلجأ إليه عند الاشتباه، فهذا لا يُقَلَّد في القراءة، ولا يُحتَجُّ بنقله وسماعه وروايته.

وأخطر من ذلك- كما ذكر الشيخ- أن يكون تلقَّى عمن هذه حاله فيكون الأصل مطعونا فيه، والسماعُ مأتِيًّا إليه.

ولما كان الخطأ واللحن متوقَّعا بسبب ما ذُكِر- وجدنا الشيخ يُفصِّل القول في صُوَر القراءة فيقول: " ما رُوِي من الآثار في حروف القرآن: منها المعرَبُ السائرُ الواضحُ، ومنها المعرَبُ الواضحُ غيرُ السائر، ومنها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف المعنى في الإعراب غير أنه قد قُرِئ به، ومنها ما تُوُهِّم فيه فغُلِط به؛ فهو

(١) كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تح. د. شوقي ضيف / ٤٥، ط. دار المعارف بمصر.

لحن غير جائز عند من لا يبصر من العربية إلا اليسير، ومنها اللحن الخَفِيُّ الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير. وبكل قد جاءت الآثار في القراءات "(١).

وإذا انتقلنا إلى الإمام مكي وجدناه يقول :" ومنهم من يعرفه سماعا وتقليدا، فذلك الوَهِن الضعيف، لا يلبث أن يشكَّ ويدخلَه التحريفُ والتصحيفُ؛ إذ لم يَبْنِ على أصل، ولا نَقَلَ عن فَهْمٍ "(٢).

ونحو ذلك ذكر الإمام أبو عمرو الداني حيث يقول: " وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلك قياسًا وتمييزًا، وهو الحاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعًا وتقليدًا، وهو الغَبِيُّ الفَهِيهُ(٣)، والعلمُ فطنةً ودرايةً آكدُ منه سماعًا وروايةً "(٤).

فهؤلاء أئمة التجويد وأساتذة الأداء والقراءة، رأيناهم يرفضون قراءة من اعتمد على السماع والرواية دون علم أصيل بالقواعد والدراية؛ إذ ربما ينسى ويختلط الأمر عليه؛ لذا فإنه لا يُؤْبَه به، ولا يُعتمَد عليه، وقراءته مرفوضة ومردودة عليه.

هذا إذا سَلَّمنا أنه تَلَقَّى تلَقِّيا صحيحا، لكن من يضمن أنه يؤدِّي أداء صحيحا كما سمع من الشيخ؟ وفي هذا يقول السيوطي:" وليس كل

(١) كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد /٤٩.
(٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، لمكي بن أبي طالب ، تح. د. أحمد حسن فرحات /٨٩ ، ط. دار عمار – الأردن ، الثالثة ، ١٤١٧ هـ /١٩٩٦ م .
(٣) الفَهِيهُ: الكليلُ اللسانِ العَيِيُّ عن حاجَتِهِ . ينظر لسان العرب، لابن منظور، تح. عبد الله علي الكبير وآخرين، (فهه) ، ط. دار المعارف .
(٤) التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، تح. د. غانم قدوري الحمد /٧.، ط. دار عمار – عَمَّان ، الأولى ٢٠٠٠م /١٤٢١هـ .

من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته "(١)، ويقول الدكتور محمد حسن جبل: " هل يكفي أن يكون من تلقيَّتَ عنه حُجَّةً ليكون أداؤك أنت أيضا حجة؟ ألا يمكن أن تكون أنت تلقيتَ الصواب ثم أدَّيْتَ خطأ؟ الجواب : بلى، هذا يحدث كثيرا "(٢).

وعليه فإن القارئ الذي يَعْتَمِد على التلقي فقط لا يُعْتَمَد عليه ، ولا يُحتَجُّ بقراءته، كما قرَّر أئمة الفن وحُكَّامُه.

وهذا يجعلنا نقف مع سؤال آخر عن ضابط القارئ المتقن المقبول عند أهل الفن، وتفصيل ذلك في الوقفة التالية.

الوقفة الثالثة: ما ضابط القارئ المُتْقِن المقبول عند أهل الفن؟

إذا كان القارئ الذي تلقَّى عن الشيخ وسمع منه لا تُعْمَد قراءتُه ولا يُحْتَجُّ بأدائه إذا كان عمادُه السماعَ وحده- فمن القارئ المتقِن المرضِيّة قراءتُه، المقبول عند أهل الفن؟ وما ضابطه وشروطه؟

إن علماءنا الأجلاء بيَّنوا لنا القارئ المتقن، الذي تُقبَل قراءتُه ، ويُؤخذ عنه القرآن، فهاهو ابن مجاهد يُصنِّف القراء وحال كل واحد منهم، ويبيِّن حكم الأخذ عنهم، وأنا ناقل هنا قوله- على طوله- ؛ إذ عليه المعوَّل، وهو المعتمَد عند أهل التجويد والقراءة بعده، ولم أقف على مخالف له فيما ذهب إليه، حيث يقول:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ٣٤٣/١، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٢) تحقيقات في التلقي والأداء، د. محمد حسن جبل /٣٣، ط. الرابعة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.ولفضيلته دراسة تأصيلية مفصلة لقضيتي التلقي والأداء وحُجِّيَّتِهما، تناولها في مصنفَيْه: الأول: تحقيقات في التلقي والأداء، والآخر: التلقي والأداء في القراءات القرآنية، ط. مكتبة الآداب، الثانية ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

"وحَمَلَةُ القرآن متفاضلون في حَمْلِه، ولِنَقَلَةِ الحروف منازلُ في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودالٌّ على الأئمة منهم ...

فمن حَمَلَةِ القرآن المعرِبُ العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللغات ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يَفْزَعُ إليه حُفَّاظُ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين.

ومنهم من يُعْرِب ولا يلحن، ولا علم له بغير ذلك، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه، فهو مطبوع على كلامه.

ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداء لما تَعَلَّم، لا يعرف الإعرابَ ولا غيره، فذلك الحافظ، فلا يلبث مِثْلُه أن ينسى إذا طال عهده؛ فيُضَيِّعَ الإعرابَ لشدة تَشَابُهِهِ وكَثْرَةِ فتحِه وضمِّه وكسرِه في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية، ولا بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه.

وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع، وتَشْتَبِهُ عليه الحروفُ، فيقرأ بلَحْنٍ لا يعرفه، وتدعوه الشُّبْهَةُ إلى أن يَرْوِيَهُ عن غيره ويُبَرِّئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مُصَدَّقًا فيُحْمَل ذلك عنه، وقد نَسِيَهُ ووهم فيه، وجَسَرَ على لزومه والإصرار عليه.

أو يكون قد قرأ على من نَسِيَ وضَيَّع الإعرابَ ودخلته الشُّبْهَةُ فتَوَهَّم، فذلك لا يُقَلَّدُ القراءةَ، ولا يُحْتَجُّ بنَقْلِهِ.

ومنهم من يُعْرِبُ قراءته، ويُبْصِر المعاني، ويعرف اللغات، ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين؛ فيكون بذلك مبتدعا "(١).

لقد وَقَفنا الشيخُ- رحمه الله- على أصناف القراء، فلم نجد فيهم إلا واحدًا مرضيًّا، يَفْزَعُ إليه حُفَّاظُ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين، يتلَقَّون منه، ويَعرضون عليه، إنه القارئ الذي جمع الدرايةَ والروايةَ معا، فقد شَرَطَ فيه العلمَ بوجوه الإعراب والقراءات، والمعرفةَ باللغات ومعاني الكلمات، والبصرَ بعيب القراءات، والقدرةَ على انتقاد الآثار، وهذه الأمور يجمعها الروايةُ والدرايةُ، وكما يقول مكي: " فالرواية لها نقلها، والدراية لها ضَبْطُها وعِلْمُها "(٢) .

وما ذهب إليه ابن مجاهد من تصنيف القراء وبيان المرضِيِّ المقبول منهم- أكَّده العلماء بعده، يقول مكي: " يجب على طالب القرآن أن يتخيَّر لقراءته ونقْلِه وضبطه أهلَ الديانة والصيانة، والفهمِ في علوم القرآن، والنفاذِ في علم العربية، والتجويدِ بحكاية الألفاظ وصحةِ النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم. فإذا اجتمع للمقري صحةُ الدين، والسلامةُ في النقل، والفهمُ في علوم القرآن، والنفاذُ في علوم العربية، والتجويدُ بحكاية ألفاظ القرآن- كمُلت حالُه، ووجبت إمامتُه"(٣)، فهذه هي أوصاف من يتصدَّر للإقراء، ومن يجب أن يأخذ الناس عنه، وبمفهوم المخالفة فإنه إذا سقط أمر من هذه الأمور سقطت منزلة المقرئ، ولم يبقَ لإقرائه قوةٌ واعتمادٌ.

(١) السبعة لابن مجاهد /٤٥.
(٢) الرعاية /٩٠.
(٣) الرعاية /٨٩.

ثم يشرع مكي في بيان أصناف القراء فيقول: " وقد وصف مَنْ تَقَدَّمَنا من علماء المقرئين القراءَ فقال: القراء متفاضلون في العلم بالتجويد: فمنهم من يعلمه رواية وقياسا وتمييزا، فذلك الحاذق الفَطِن. ومنهم من يعرفه سماعا وتقليدا، فذلك الوَهِن الضعيف، لا يلبث أن يشكَّ ويدخلَه التحريفُ والتصحيفُ؛ إذ لم يَبْنِ على أصل، ولا نَقَلَ عن فَهْمٍ . قال: فنَقْلُ القرآن فطنةً ودرايةً أحسنُ منه سماعا وروايةً. قال: فالرواية لها نقلها، والدراية لها ضبطها وعلمها. قال: فإذا اجتمع للمقرئ النقلُ والفطنةُ والدرايةُ وجبَت له الإمامةُ، وصحَّت عليه القراءةُ، إن كان له مع ذلك ديانةُ "(١).

ويتفق ما ذكره أبو عمرو الداني مع ما ذكره مكي، وإن كانت ألفاظ أبي عمرو فيها من الشِّدَّة والحِدَّة ما ليس عند مكي، " قال أبو عمرو: وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلك قياسًا وتمييزًا، وهو الحاذق النَّبِيهُ. ومنهم من يعلمه سماعًا وتقليدًا، وهو الغَبِيُّ الفَهِيهُ. والعلم فطنةً ودرايةً آكد منه سماعًا وروايةً. وللدراية ضبطها ونظمها، وللرواية نقلها وتَعَلُّمُها، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم "(٢).

ويحدثنا النويري عن شروط المقرئ وما يجب عليه، فذكر منها أنه " يجب عليه قبل أن ينصب نفسه للاشتغال في القراءة أن يعلم من الفقه ما يَصْلُحُ به أمرُ دينه، وتُنْدَب الزيادةُ حتى يُرْشِد جماعته في وقوع أشياء من أمر دينهم. ويعلم من الأصول قَدْرَ ما يدفع به شُبْهَةَ طاعنٍ في قراءةٍ. ومن النحو والصرف طَرَفًا لتوجيه ما يحتاج

(١) الرعاية /٨٩.
(٢) التحديد /٦٧.

إليه، بل هما أهم ما يحتاج إليه المقرئ، وإلا فخطؤه أكثر من إصابته، وما أحسن قول الإمام الحصري فيه:

لقد يدَّعي علْمَ القراءاتمعشرٌ وباعُهُم في النّحو أقصرُمن شِبْرِ

فإن قيلما إعرابُهذا وَوَجْهُهُ رأيتطويلَ الباعِ يَقْصُرُعن فِتْرِ(١)

ويعلم من التفسير واللغة طرفا صالحا "(٢). وقد ذكر هذا الكلام ابن الجزري أيضا (٣).

هذا الذي ذكرته من أقوال أهل العلم غيضٌ من فيض، والمتتبع لكتب التجويد والقراءات- عند الحديث عن صفات القارئ والمقرئ وما يجب عليهما، والحديث عن اللحن الجَلِيِّ واللحن الخَفِيِّ- يجدهم يؤكدون على وجوب الدراية؛ إذ بها يستطيع القارئ التمييز بين الصواب والخطأ، ولا يكفي في ذلك السماع وحده؛ وهذا واضح جليٌّ من بيانهم لحكم التجويد؛ حيث فرَّقوا بين العلم به والعمل به، فجعلوا العمل به فرض عين يلزم كل قارئ للقرآن، وجعلوا العلم به فرض كفاية، والعلم به هو عين الدراية.

الوقفة الرابعة: ما التجويد؟

لابد هنا من وقوف مع التجويد لنعرف حقيقته وحكمه، ونقف على ضابطه؛ حتى نصدر في أحكامنا عن أصل يُعتمَد عليه، وأساس يُبنى عليه.

---

(١) البيتان منسوبان إليه في منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري /٩،ط. دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

(٢) شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنويري ، تح. د. مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ٥٥/١، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م .

(٣) ينظر منجد المقرئين /٩.

يقول أبو عمرو الداني: " اعلموا -أيدكم الله بتوفيقه- أن التجويد مصدر جَوَّدْت الشيءَ. ومعناه انتهاءُ الغاية في إتقانه، وبلوغُ النهاية في تحسينه، ولذلك يقال: جَوَّد فلانٌ في كذا، إذا فعل ذلك جيدًا، والاسم منه الجَوْدَة.

فتجويد القرآن هو إعطاءُ الحروف حقوقها وترتيبُها مراتبها، ورَدُّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقُه بنظيره وشَكْلِه، وإشباعُ لفظه، وتمكينُ النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسرافٍ ولا تعسُّفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكَلُّفٍ، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضةُ من تدبره بفكه"(١).

والقراءة سُنَّة متَّبَعةٌ، ليس لنا أن نحيد عنها، أو نبتدع فيها، امتثالا لأمر الله- تعالى- لنبيه- صلى الله عليه وسلم- : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (٢)، أي اتبع قراءته عليك، والقراءة والقرآن في قول الفراء مصدران(٣)، ويؤكد كونَ القراءة سُنَّةً لازمةً وطريقةً مُتَّبَعةً ما ذكره ابن مجاهد من أن "عاصم بن بَهْدَلة قال: قلتُ للطفيل بن أُبَيٍّ بن كعب: إلى أَيِّ معنى ذهب أبوك في قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- له: (أمرت أن أقرأ القرآن عليك) (٤) ؟ فقال: لِيَقْرَأَ عَلَيَّ فَأَحْذُوَ ألفاظَه"(٥).

(١) التحديد /٦٨.
(٢) القيامة /١٨ .
(٣) ينظر تفسير القرطبي، تح. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ١٩/ ١٠٦، ط. دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .
(٤) الحديث رواه البخاري بلفظ(قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم لِأُبَيٍّ: « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ»، قَالَ أُبَيٌّ: آللَّهُ سَمَّانِي لك ؟ قَالَ: « اللَّهُ سَمَّاكَ لي » فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي) ، ينظر صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، ١٧٥/٦ ، ط. دار طوق النجاة ، الأولى ١٤٢٢هـ.
(٥) السبعة /٥٥، وينظر التحديد /٧٩.

قال أبو عمرو الداني معلِّقا على هذا الحديث : "وهذا الحديث أيضًا أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ، وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها، وأن ذلك لازمٌ لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه، وواجبٌ على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويَعْلَمُوه، اقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ما أُمِرَ به، واتِّباعًا له على ما أَكَّدَه بفعله؛ ليكون سُنَّةً يَتَّبِعُها القُرَّاء، ويقتدي بها العلماء"(١).

فقراءة القرآن لا تُقبل إلا بتعلُّم القارئ وتلقيه عن الشيوخ الأثبات، والأصل في هذا التعلُّمِ والتلقِّي مدارسةُ جبريلَ النبيَّ– صلى الله عليه وسلم– القرآنَ، ففي حديث البخاري " وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارِسهُ القرآنَ " (٢)، يقول الكرماني في شرحه لهذا الحديث: " ومعناه أنهما يتناوبان في قراءة القرآن – كما هو عادة القُراء– بأن يقرأ مثلا هذا عشرا وهذا عشرا، أو إنهما يشتركان في القراءة، يعني يقرآن معا ... وفائدة دَرْسِ جبريلَ تعليمُ الرسول– صلى الله عليه وسلم– بتجويد لفظه، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، وليكون سُنَّةً في حق الأمة ،كتجويد التلامذة على الشيوخ قراءتَهم " (٣).

وبذلك يتبيَّن وجوبُ التجويد، وذلك بالتزام ضوابط الأداء الصحيح دون إفراط أو تفريط، يقول الداني: " اعلموا أن التحقيق الوارد عن أئمة القراءة حَدُّهُ أن تُوَفِّيَ الحروفَ حقوقَها ... من غير تجاوز ولا تَعَسُّف، ولا إفراط ولا تَكَلُّف ... فأما ما يذهب إليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الإفراط في التمطيط، والتعسف

(١) التحديد /٧٩.
(٢) صحيح البخاري١/٨.
(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني١/٥١،ط. دار إحياء التراث العربي–بيروت، الثانية١٤٠١هـ/١٩٨١م.

في التفكيك، والإسراف في إشباع الحركات وتلخيص السواكن، إلى غير ذلك من الألفاظ المسْتَبْشَعة والمذاهب المكروهة- فخارج عن مذاهب الأئمة وجمهور سلف الأمة، وقد وردت الآثار عنهم بكراهة ذلك، وبكيفية حقيقته، ونحن نذكر ما رويناه من ذلك ليعمل على ما حددناه ووصفناه "(١)، ثم ذكر قول حمزة: " إن لهذا التحقيق منتهى ينتهي إليه ثم يكون قبيحًا، مثل البياض له منتهى ينتهي إليه، فإذا زاد صار بَرَصًا، ومثل الجعودة لها منتهى تنتهي إليه، فإذا زادت صارت قَطَطًا "(٢).

والحديث عن التجويد يثير الحديث عن جمال الصوت وحُسن نغمه؛ لما فيه من أخذٍ للأسماع، وسلطان على القلوب، مما يستدعي الوقفة التالية.

الوقفة الخامسة: المعتبر عند أهل القراءة حُسْنُ الصوت أم حُسْنُ الأداء؟

إن الأصل في قراءة القرآن التزامُ ضوابط الأداء، والمحافظةُ على أحكام التلاوة، وذلك يجعل له حلاوة في الأسماع، وسلطانا على القلوب، فإذا كان مع ذلك حُسْنُ صوتٍ، وجمالُ نغَمٍ كان سلطانه أعظم، وتأثيره في النفوس أعلى وأزكى، وحسبنا في ذلك أن يكون النبي- صلى الله عليه وسلم أحسن الناس بالقرآن صوتا، فقد روى البخاري من حديث البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾(٣) فِي العِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً " (٤)، ويعلِّق القسطلاني على هذا الحديث قائلا: " كانت قراءتُه- عليه السلام- ترتيلا، لا هَذًّا ولا عَجَلة، بل قراءةٌ مُفَسَّرة حرفا حرفا، وكان

(١) التحديد /٨٧.
(٢) التحديد /٨٨.
(٣) التين/ ١.
(٤) صحيح البخاري١/١٥٣.

يُقَطِّع قراءتَه آيةً آيةً، ويمُدُّ عند حروف المدِّ، وكان يتغنَّى بقراءته، ويُرَجِّع صوتَه بها أحيانا "(١).

من هنا يتبيَّن لنا أن أفضل قراءة للقرآن ما اجتمع فيها صحةُ الأداء وحُسْنُ الصوت، وفي ذلك يقول القسطلاني: " فإذا انضاف إلى إتقان معرفة المخارج وصفاتها حُسْنُ الصوت، وجَوْدةُ الفكِّ، وذرابةُ اللسان، وصحةُ الأسنان- كان غايةً في الإحسان. ولا يخفى أن النفوس لها حَظٌّ من الأصوات الحسنة، فإذا جُلِيَت ألفاظُ القرآن العزيز بالأصوات الطيبة، مع مراعاة قوانين الترتيل على الأسماع، تلقَّتها القلوب، وأقبلت عليها النفوس، وربما أثمر ذلك تدبُّرَ آياتِه، والتفكُّرَ في غوامضه، والتبحُّرَ في مقاصده؛ فيحصل له حينئذ الامتثال لأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وعده، والرهبة من وعيده، والطمع في ترغيبه ... ومن ثَمَّ طُلِبَ تحسينُ الصوت بالقراءة، مع إقامة رسوم تجويدها، والوقوف على مرسوم تحديدها "(٢).

هذه هي الدرجة العليا في قراءة القرآن، ولكن ليس كل الناس قد أُوتي صوتا حسنا، فهذا الحسن لا يكون باكتساب واعتمال نفس، إنما هو هبةُ الله يؤتيها من يشاء، وهو- سبحانه- لا يكلف النفس ما لم يؤتها ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (٣)، فيلزم القارئَ حينئذ أن يراعي أحكام التلاوة، متدبرا ما فيها من معانٍ، مستحضرا عظمة القرآن وجلال قائله، عندها نجد لقراءته حلاوة، ولأدائه طلاوة، وفي هذا يقول ابن الجزري: " وهذه سُنَّةُ الله- تبارك وتعالى-، فمن يقرأ القرآن مُجَوَّدًا مُصَحَّحًا كما أُنْزِل- تَلْتَذُّ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته،

(١) لطائف الإشارات، للقسطلاني ، تح. الشيخ عامر السيد عثمان ، د. عبد الصبور شاهين / ٢١٠، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢ م .
(٢) لطائف الإشارات، للقسطلاني /٢١١.
(٣) الطلاق /٧ .

حتى يكاد أن يسلب العقول، ويأخذ الألباب ؛ سِرٌّ من أسرار الله- تعالى- يُودِعُه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حُسْنُ صوت، ولا معرفةٌ بالألحان، إلا أنه كان جَيِّدَ الأداء قَيِّمًا باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام، مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان"(١).

وصدق الشيخ فيما قال، وهذا أمر عاينته بنفسي، ووافقني فيه كثير من إخواني، حين نستمع إلى شيخنا الذي تلقينا القرآن والتجويد على يديه، فضيلة الشيخ محمد عبد الغفار بدير- بارك الله في عمره وعلمه- فإن له من الحضور والحلاوة والجلال والجمال والطلاوة ما يملك منا الألباب، ويستولي على الأسماع والجوارح، فتقشعِرُّ الأبدان، وتخشع القلوب، خاصة حين يؤمُّنا في صلاة الصبح، فنتمنى لو لم ينته من قراءته وصلاته، مع أنه لم يؤت من الأصوات ما يمكن أن نصفه بالحُسن والجمال، فصوته كغيره من الناس، ولكنه صحةُ الأداء، وسلامة المخارج والصفات، وحضور القلب بالقرآن.

وفي مقابل هذا الصنف نجد فريقا ممن أوتوا الأصوات الحسان، والنغم والألحان، لكنهم لم يضبطوا الأداء، جهلا به أو إغراقا في التنغيم وإطراب السامعين، وهؤلاء آفة القراء، شَغَلَهُم ثناءُ الناس وإعجابُهم عن التزام الصواب في قراءة كلام ربهم، يصدق عليهم ما رواه البيهقي من حديث حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- عن

(١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٢١٢/١، تح. محمد على الضباع ، ط. دار الكتب العلمية – بيروت .

رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونَ أَهْلِ الْفِسْقِ وَأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ مِنْ بَعْدِي قَوْمٌ يُرَجِّعُونَ بِالْقُرْآنِ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ وَالنَّوْحِ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبُهُمْ وَقُلُوبُ مَنْ يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ "(١).

وقد كثُر هؤلاء في زماننا هذا، لدرجة أن كثيرا من هذا الصنف درسوا التجويد، وتلقَّوه عن شيوخٍ أثبات، فليسوا جاهلين بأحكامه، لكنهم يُهْمِلون شأنه بسبب حرصهم على التنغيم وإطراب المستمعين؛ فيوقعهم ذلك في مخالفات لما درسوا وتلقَّوا، فإذا راجعتهم في ذلك جادلوا وعارضوا وأخذت بعضهم العزةُ بالإثم، وهذا ما أشار إليه أبو عمرو الداني بقوله: " فأما ما يذهب إليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الإفراط في التمطيط، والتعسف في التفكيك، والإسراف في إشباع الحركات وتلخيص السواكن، إلى غير ذلك من الألفاظ المسْتَبْشَعة والمذاهب المكروهة- فخارج عن مذاهب الأئمة وجمهور سلف الأمة، وقد وردت الآثار عنهم بكراهة ذلك "(٢).

*****

بعد هذه الوقفات نكون قد أصَّلنا لكل كلام أذكره فيما يأتي من مفارقات لاحظتها بين أداء كثير من أهل القراءة- الآن- وما قرَّره علماء التجويد والقراءات، وكما سبق أن ذكرتُ، فإن عمادي الأكبر -بعد الله- في هذه الدراسة على أقوال

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، تح. د. عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، ٤ /٢٠٨، ط. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
(٢) التحديد/ ٨٧.

أهل الفن من علماء الأمة المشهود لهم بالسبق والإمامة والفطنة والدراية، وأُشهد الله أن أتجرد عن الرأي والهوى، وأترك للقارئ الكريم الحكم بعد ذلك.

صوت الهاء

الهاء صوت حنجري(١) ، مهموس، رخو، مهتوت، منفتح، مستفل، مصمت، خفي(٢) ، وإن كان بعض المحدثين يرى أنها تكون مجهورة في بعض حالاتها(٣).

فهو صوت خفي، جميع صفاته ضعيفة عدا الإصمات، وقد وصفها سيبويه بالخفاء مرات في كتابه- لكن ليس عند حديثه عن الصفات في باب الإدغام(٤)-

---

(١) لا أريد الإطالة في قضية المخرج هنا، فقد نص القدماء على أنها من أقصى الحلق مع الهمزة والألف. ينظر: ٥٧- الكتاب ، لسيبويه ، تح. عبد السلام محمد هارون ، ٤ / ٤٣٣، ط. الخانجي – القاهرة ، الثالثة ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م ، شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، تح. أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، ٥ / ٣٩٠ ، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ٢٠٠٨ م /١٤٢٩ هـ ، سر صناعة الإعراب ٤٦/١.

أما المحدثون فكثير منهم على أنها حنجرية. ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. المؤلف: رمضان عبد التواب /٢٢٣ ، ط. مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ، المختصر في أصوات اللغة العربية، ، د. محمد حسن جبل /٨٠ ، ط. مكتبة الآداب ، الأولى ١٤٢٩ هـ /٢٠٠٩ م ، تحقيقات في التلقي والأداء، د. جبل / ١١٢، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحَمَد /١٦١، ط. دار عمار- الأردن، الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ولا يوجد كبير خلاف بين القدماء والمحدثين في هذا الأمر؛ فالقدماء لم يكن عندهم من المعامل الصوتية والأجهزة الحديثة ما عند المحدثين، فلم يتمكنوا من المعرفة الدقيقة للأجزاء التشريحية لهذه المنطقة من الجهاز الصوتي. أو كانوا يطلقون الحلق على منطقة أوسع مما يُطْلَق عليه لدى المحدثين، تشمل الحلق والحنجرة جميعا.

(٢) ينظر: أصوات اللغة العربية د. جبل ١٤٠، ط. الثالثة، أصوات اللغة العربية ، د. فتحي الدابولي ٨٠ ، ط مطبعة الشروق ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م، وينظر الكتاب ٤٣٤/٤، سر صناعة الإعراب، لابن جني ، تح. د. حسن هنداوي، ٥٥١/٢ ، ط. دار القلم – دمشق ، الثانية ١٤١٣ هـ /١٩٩٣ م .، القول المألوف في معرفة بيان مخارج الحروف، محمد بن نصر المصري، تح. د. محسن العميري /٣٩، ط. مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودي، الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس / ٧٦، ط. مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب ٢١٧، ط. الثانية مطبعة الكيلانى ١٩٦٨م.

(٤) ينظر الكتاب ٤/ ٤٣٤ وما بعدها.

من ذلك قوله: "الهاء من مخرج الألف، فهي- وإن تحركت- في الخفاء نَحْوٌ من الألف والياء الساكنة"(١)، وقد سبق الخليلُ إلى هذا لكنه لم ينص عليه صراحة حيث قال: "وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها، وإنما هي نَفَس لا اعتياص فيها"(٢)، واللين والهشاشة يدلان على الخفاء، "وأوضَحُ ما تُحَقَّق فيه صفة الخفاء الحقيقية – أي التي بمعنى ضَعْف صدى الحرف – هو الهاء ثم الحاء، ويتضح ذلك تماما عند الوقف على هاء قبلها حرفٌ مهموس ساكن مثل: لم يمدحه... ثم في الوقف على ما قبلها فيه ساكن مجهور"(٣)، مثل: رضي عنْه؛ فأَوْجَدَت اللغةُ بعض الوسائل لتقوية هذا الخفاء، من ذلك ما يقوله ابن الجزري – رحمه الله–: "والحروف الخفية أربعة: الهاء وحروف المد، سميت خفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، ولخفاء الهاء قُوِّيَت بالصلة ، وقُوِّيَت حروف المد بالمد عند الهمزة"(٤) .

وإذا لاحظنا نطق كثير من القراء المشهورين وغيرهم في زماننا – وربما لا أبالغ لو قلت: أكثرهم – وجدنا صوت الهاء يكاد يكون معدوما في أدائهم؛ ذلك أن الكثيرين منهم – إلا من رحم ربي – طغى عليهم الاهتمامُ بالتنغيم، وإمتاعُ السامعين، فأتى ذلك على تحقيق المخارج وتمكين الصفات، فإذا بنا نسمع الهاء كأنها حركة طويلة تولَّدت من إشباع حركتها القصيرة، وذلك كما في قوله – تعالى–

(١) الكتاب (٤/ ١٩٧) ، وينظر: ٤ / ١٨١، ١٩٣، ٣٩٣.
(٢) العين ، للخليل بن أحمد، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهم السامرائي،(المقدمة) ١ / ٥٤، ط. دار ومكتبة الهلال .
(٣) تحقيقات في التلقي والأداء / ١٢٦.
(٤) النشر ١ / ٢٠٤، والتمهيد في علم التجويد، لابن الجزري ، تح. د. غانم قدوري حمد / ١٠٣، ط. مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢١ هـ /٢٠٠١ م .مع اختلاف يسير في اللفظ.

: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾(١)، وقوله: ﴿ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾(٢)، وقوله: ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ﴾(٣)، فإذا كان بعدها حرف مدٍّ كان الإشباع آكدَ وأكثرَ، كما في قوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٤)، وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾(٥)، وقوله: ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٦)، فإذا كانت الهاء ساكنة أُشْبِعت حركةُ ما قبلها، كما في قوله - تعالى-: ﴿بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾(٧)، وقوله: ﴿ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾(٨)، وقوله: ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾(٩).

وكل ذلك خطأ وفق مقاييس الأداء اللغوي، فخفاء الهاء لا يعني إهمال نطقها، وإنما يحتاج إلى تأكيد بيانها حتى لا تسقط ويُبدَل منها صوتٌ آخر، وهذا ما جعل اللغويين يصفونها بأنها(مهتوتة)، يقول الخليل: "ولولا هَتَّةٌ في الهاء- وقال مَّرة:(هَهَّة)- لأَشْبَهَت الحاء؛ لقُرْب مَخْرَج الهاء من الحاء"(١٠) .

وقد علل ابن جني هذا الوصف فقال: "ومن الحروف المهتوت، وهو الهاء؛ وذلك لما فيها من الضعف والخفاء"(١١)، ونسب ابن سيده هذا التعليل أيضا

(١) الإسراء / ٨١.
(٢) الإسراء / ٨٤.
(٣) الإسراء / ٩٥.
(٤) الإسراء / ٨١.
(٥) الإسراء / ٩١.
(٦) الإسراء / ٨٨.
(٧) الإسراء / ٨٤.
(٨) الإسراء / ٩٧.
(٩) الإسراء / ١٥.
(١٠) العين ١ / ٥٧، وينظر تهذيب اللغة، للأزهري، تح. الشيخ عبد السلام هارون وآخرين١ / ٤٨، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة ، اللسان (باب ألقاب الحروف) ، (باب العين) .
(١١) سر الصناعة ١ / ٦٤.

لسيبويه فقال: "قال سيبويه: من الحروف المهتوت ، وهي الهاء؛ لما فيها من الضعف والخفاء"(١)، ويعلل الجاربردي لوصفها بالهَتِّ فيقول: "وذكر في شرح الهادي أن المهتوت الهاءُ؛ لضعفها وخفائها وسرعتها على اللسان، من الهَتِّ، وهو إسراع الكلام، يقال للرجُل إذا كان جيِّد السِّياق للحديث: هو يسرده سردا، ويهُتُّه هَتًّا، ورجُل هتَّات، أي خفيف كثير الكلام؛ لأن الذي يسرد الحديث ويكثر الكلام ربما لم يُبيِّن الحروف. وقيل: الهَتُّ:عَصْر الصوت... [قال] الخليل: لولا هَتَّةٌ في الهاء لأَشْبَهَت الحاء، وعنى بالهَتَّة العصرة التي فيها دون الحاء"(٢)، وقد ذكر أصحاب المعجمات(٣) هذه المعاني وزيادة، منها قولهم: "هَتَّ الشيءَ يَهُتُّه هَتًّا فهو مَهْتُوتٌ وهَتِيتٌ وهَتْهَتَه: وَطِئَه وَطْأً شديدًا فكسَّره"(٤).

ونلحظ في هذه المعاني وجود الخفة والسرعة التي لا يكاد الكلام يَبِين معهما؛ مما يؤدي إلى الخفاء، وكذلك الوطء الشديد وعَصْر الصوت، وتكاد هذه المعاني تجتمع في حقيقة صوت الهاء؛ ذلك أنها ضعيفة خفيَّة لا تكاد تظهر في النطق خاصة عند سرد الكلام وإسراعه؛ مما يستلزم ضغط الهواء، وعَصْرَ الصوت في المخرج حتى يُسمع جَرْسُه ويظهر صداه، وهذا العصر هو ما عبَّر عنه الدكتور إبراهيم أنيس في نطق الهاء بقوله: "اندفاع الهواء يُحدث نوعا من الحفيف يُسمَع في أقصى الحلق أو داخل المزمار"(٥)، ولولا هذا الحفيف لكانت الهاء حرف لين، ومع هذا يبقى

(١) المحكم (هتت) ، وينظر اللسان (هتت) ، التاج (هتت) .
(٢) شرح الشافية للجاربردي ٢ / ٣٤٤، ضمن: مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، ط. عالم الكتب – بيروت، الثالثة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
(٣) ينظر تركيب (هتت) في المحكم، مقاييس اللغة، لابن فارس ، تح. عبد السلام هارون، ط. دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.، اللسان.
(٤) تركيب (هتت) في المحكم واللسان.
(٥) الأصوات اللغوية / ٧٦.

صوتها ضعيفا خَفِيًّا، ويبرز جرسها – كما يقول الدكتور جبل-: "بمساعدة الاختلاف بينه وبين ما يسبقه وما يليه من الحروف"(١).

هذا ما عليه اللغويون من ضعف الهاء وخفائها، وهو أمر لم يغِب عن القراء وأهل الفن من علماء التجويد والأداء، فنبهوا على وجوب التحفُّظ ببيانها عند القراءة؛ حتى لا يضيع صداها ويذهب صوتها، وَلْنَقِفْ على ما ذكره عدد من الأئمة النقاد في هذا الأمر.

يقول الإمام مكي بن أبي طالب – بعد أن ذكر خفاءها وضعفها-: "ولما كانت الهاء حرفا خفيًّا وَجَبَ أن تتحفَّظ ببيانها حيث وقعت، وإذا تكرَّرت من كلمتين كان البيان لذلك آكدَ لتكرُّر الخفاء، ولِتَأَتِّي الإدغام في ذلك لاجتماع المثلين، وذلك نحو: ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾(٢)... فيجب التحفُّظ ببيان الهاءين في درج القراءة؛ للعلل التي ذكرنا. وإذا تكررت الهاء في كلمة فالتحفظ بإظهار الهاءين واجب على القارئ؛ لتكرُّر الخفاء، واجتماع المثلين... كل هذا يجب على القارئ المجوِّد للفظ تلاوته أن يُبَيِّنَه في درج قراءته، ويتحفظ منه. فإن سكنت الأولى من الهاءين وجب إظهار الإدغامِ والتشديد وبيانُ الهاء المشددة، فإن كان قبلها حرف مشدَّد كان آكدَ في بيان المشددين، لا سيما إن كان الحرف الأول حرفا مجهورا قويًّا، نحو: ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾(٣)،... وكذلك كل هاء مشددة يجب بيانها"(٤).

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية / ٨١.
(٢) البقرة / ٢.
(٣) النحل / ٧٦.
(٤) الرعاية لتجويد القراءة، مكي بن أبي طالب / ١٥٦ وما بعدها.

ويمضي الشيخ فيعقد فصلا يتحدث فيه عما يجب في الهاء من تمكين بيانها، ووجوب إظهارها – إذا أتى قبلها أو بعدها حاء أو عين أو ألف فيقول: "وإذا وقعت الهاء قبل حاء أو بعد حاء وجب إظهار الهاء، والتحفظ بها لتمكُّن خفائها مع الحاء؛ إذ هي قريبة المخرج من الحاء، وهي أضعف من الحاء للخفاء الذي في الهاء، وذلك نحو قوله: ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا ﴾(١)، وقوله: ﴿ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ ﴾(٢). إن لم يتحفظ بإظهار الهاء صارت مع الحاء التي قبلها بلفظ حاء مشددة، فتندغم في الحاء التي قبلها لقوة الحاء، وضعفِ الهاء، وقُرْبِ المخرجين؛ فيغلب عليها لفظ الحاء لقوة الحاء وقرب مخرجها، **فتصير إلى أن تُقْرَأ بما لم يقرأ به أحد**... فتَحَفَّظْ ببيان الهاء لئلا تزداد خفاء عند الحاء، أو تصير مدغمة في الحاء، **وذلك كله خطأ**، فالتحفظ لازم"(٣).

وعبارة(فتصير إلى أن تُقْرَأ بما لم يقرأ به أحد) من هذا الشيخ الإمام– لها خطرها العظيم؛ ذلك أن القراءة سُنَّة متَّبعة، وأي انحراف بها عن سبيلها – ولو كان يسيرا – يُخرجها عن كونها قراءة، ويُخرج المقروء عن كونه قرآنا.

ويتابع الشيخ كلامه عن وجوب بيانها فيقول: "وإذا وقعت الهاء بين ألفين وجب بيانها لاجتماع ثلاثة أحرف خَفيَّة... فإن كان قبل الألف الأولى هاء كان البيان لذلك كله آكدَ؛ لاجتماع أربعة أحرف خفية، نحو: "﴿ مُنْتَهَاهَا ﴾(٤). وكذلك يجب أن يُتحفَّظ ببيان الهاء إذا لاصقها عين قبلها أو بعدها"(٥).

---

(١) الإنسان / ٢٦، وفي نص الرعاية: (فسبحه) .
(٢) سورة ق / ٤٠.
(٣) الرعاية / ١٥٨.
(٤) النازعات / ٤٤.
(٥) الرعاية / ١٥٩.

تُلاحَظ الإطالةُ في نقل كلام الشيخ – رحمه الله–، لكن المقصود من ذلك إظهارُ تأكيد الشيخ على وجوب التحفظ ببيان صوت الهاء الخفيِّ حتى لا يذهب صداها، ويندثر جرسها، أو يحوَّل إلى صوت سابق له أو تالٍ، لدرجة أن الشيخ كرر ما يدل على وجوب بيانها أو تأكيده(ثلاث عشرة مرة)، فهل بعد قول هذا الإمام من قول ؟!

وقد عقد الإمام أبو عمرو الداني – رحمه الله – بابا بعنوان(ذِكْر الحروف التي يلزم استعمالُ تجويدها وتَعَمُّلُ بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها)، قال في أوله: "اعلموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يُمَكَّن لفظه، ويُوَفَّ حقَّه من المنزلة التي هو مخصوص بها، على ما حدَّدناه وما نحدده، ولا يُبْخَس شيئا من ذلك؛ فيتحول عن صورته، ويزول عن صيغته، وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح كلَحْنِ الإعراب الذي يتغيَّر فيه الحركات، وينقلب به المعاني"(١). ثم يقول: "وقد أودعتُ هذا الباب من حروف التجويد جملة سائرة، وألفاظا دائرة، تَخْفى حقيقتها على أكثر القراء، وتَعْزُب كيفيةُ النطق بها على جماعة من أهل الأداء، ورتبتها على مخارجها حرفا حرفا، وكشفت عن خاصِّ سرِّها، ونبَّهت على مواضع غموضها؛ ليُقاس ما لم أذكره عليها، وتُرَدَّ نظائرها إليها"(٢).

وينتقل الشيخ الداني إلى الحديث – في هذا الباب– عن الهاء فيقول: "وهي حرف خفِيٌّ مهموس، فإذا أتت ساكنة أو متحركة فينبغي للقارئ أن يُنْعِم بيانها،

(١) التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني / ١١٦.
(٢) التحديد / ١١٨.

من غير تكلُّف ولا ابتهار(١)... وكذا إن وقع بعدها حرف من حروف الحلق... فإذا جاءت ضميرَ المذكر ولم تلْقَ ساكنا وانضمَّت وُصِلت بواو في اللفظ، وإن انكسرت وُصِلت بياء؛ تقوية لخفائها، ثم حُذفت تلك الصلة إذا وُقِف عليه لأنها زائدة... والمثلان إذا التقيا في كلمة أو كلمتين وتحرَّكا أُنْعِم تفكيكهما، ولُخِّص بيانهما من غير هَذْرَمة ولا تمطيط، كقوله – تعالى–: ﴿ حِبَاهُهُمْ ﴾(٢)...،كذا ما أشبهه من سائر الحروف"(٣).

ويلفت الانتباهَ في كلام الشيخ أبي عمرو قولُه: "فينبغي للقارئ أن يُنْعِم بيانها، من غير تكلُّف ولا ابتهار" فهما أمران متلازمان:(بيانٌ، وعدم تكلُّف)، وإهمال أي واحد منهما يُخرج القارئَ عن حدِّ القراءة الصحيحة، ويصير إلى أن يَقرأ بما لم يقرأ به أحد، كما سبق في كلام مكي – رحمه الله–.

وحتى لا أطيل أكثر من هذا في نص أئمة القراءة وأهل الأداء على وجوب التحفظ ببيان الهاء – أشير إلى أن غير واحد من الأئمة الأعلام من أهل الفن أكَّدوا على هذا الأمر، منهم ابن الجزري وابن أم قاسم والمرعشي(٤)، وأختم بقول السخاوي(٥):

---

(١) المراد بالابتهار المبالغة وإفراغ الجهد، يقال: "بَهَرَه عالجه حتى انْبَهَرَ، ويقال: انبهر فلان إذا بالغ في الشيء ولم يَدَعْ جُهْداً، ويقال: انْبَهَرَ في الدعاء إذا تحوّب وجهد، وابْتَهَرَ فُلانٌ في فلان ولفلان إذا لم يدع جهداً مما لفلان أو عليه". اللسان (بهر) .

(٢) التوبة / ٣٦.

(٣) التحديد / ١٢٣: ١٢٥.

(٤) ينظر: التمهيد، ابن الجزري / ١٥٧، المفيد في شرح عمدة المجيد ، للحسن بن أم قاسم ، تح. جمال السيد رفاعي وآخرين /٨٣ ، ط. مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، جهد المقل، المرعشي، تح. د. سالم قدوري الحمد / ٢٩٠ ، ط. دار عمار – الأردن– ، الأولى ١٤٢٩ هـ /٢٠٠٨ م .

(٥) جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي ، تح. د. مروان العطيَّة– د. محسن خرابة /٦٦٢ ، ط. دار المأمون للتراث– دمشق ، بيروت، الأولى١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م .

والهـاء تُخْفَـى فاحْـلُ فـي إظهارهـا فــي نحــو مــن هـــادٍ وفــي بُهْتـــانِ

وجِبــاهُهُمْ بَــيِّن وأوجههــم بــلا ثِقَــلٍ تَزيــدُ بــه علــى التِّبْيــانِ(١)

(١) في المفيد في شرح عمدة المجيد لابن أم قاسم / ٨٣: (وجوههم) بدل (أوجههم) ، والأُولى أَولَى؛ لأنها كلمة قرآنية، وردت في مواضع كثيرة منها سورة (آل عمران / ١٠٦، ١٠٧) .

صوت العين

تخرج العين من وسط الحلق، مجهورة منفتحة مستفلة مصمتة، عدَّها كثير من اللغويين متوسطة بين الشدة والرخاوة(١)، يقول الرضي: "وإنما جعل حروف(لم يروعنا) بين الشديدة والرخوة لأن الشديدة هي التي ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف ، وهذه الأحرف الثمانية ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف ، لكن تعرض لها أعراض توجب خروج الصوت من غير مواضعها ، أما العين فينحصر الصوت عند مخرجه ، لكن لقربه من الحاء التي هي مهموسة، ينسل صوته شيئا قليلا ، فكأنك وقفت على الحاء"(٢).

وذهب كثير من المحدثين إلى أنها رخوة لا متوسطة بين الشدة والرخاوة؛ ذلك أن الفيصل في الحكم بالشدة أو الرخاوة انحباسُ الصوت أو عدمُ انحباسه، وفي العين يُغلَق المخرجُ أو يضيق ضيقا شديدا – كما أثبتته المعامل الصوتية – فيتسلل هواؤها ويتسرب من خلال الهنات اللحمية الموجودة في الحلق في موضع إنتاجها، يقول الدكتور تمام حسان: "لقد عدَّ النحاة العرب صوت العين من الأصوات المتوسطة، وربما كان ذلك لعدم وضوح الاحتكاك في نطقها وضوحا سمعيًا ، ولكن الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص ليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي ، أو المجرى الفموي ، دون سد طريقه ، أو عرقلة سيره بالتضييق عند نقطة ما ، وقد اتضح بصورة الأشعة أن في نطق العين تضييقا كبيرا للحلق ، وهذا ما يدعونا وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك إلى

(١) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٥، سر الصناعة ١ / ٦١.
(٢) شرح شافية ابن الحاجب (٣/ ٢٦٠) .

اعتبار صوت العين رخوًا لا متوسطا"(١)، ويتحدث عنها الدكتور جبل فيقول: "والعين صوت مجهور، وعُدَّت متوسطة بين الشدة والرخاوة لانسداد سبيل نَفَسِها بالهنات اللحمية الرخوة، وقد آثرنا وصفها بالرخاوة لمرور النَّفَس رغم ذلك بسبب رخاوة السَّدِّ"(٢).

أما عن جرسها وصداها فهي أنصع الحروف وأقواها صدى، يقول الخليل: "ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتاه؛ لأنهما أَطْلَقُ الحروف وأضخمها جَرْسًا، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنَصاعتهما... مهما جاءَ من بناءٍ اسم رباعي مُنْبَسِط معرًّى من الحُرُوف الذُلْق والشَّفَويَّةِ فإنَّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَيَ الطَّلاقةِ أو كليهما"(٣)، ويُصوِّر ابن جني تحسينهما للرباعي الخالي من حروف الذلاقة فيقول: "على أن العين والقاف قد حَسَّنَتا الحال ، لنصاعة العين ، ولذاذة مُسْتَمَعِها ، وقوة القاف ، وصحة جرسها"(٤).

وقد أكد أئمة القراءة وأهل الفن أنه يجب التحفظ ببيان صوت العين؛ حتى لا تتأثر بسابق لها أو تالٍ فيضيع جرسها، وتخفت نصاعتها، يقول مكي بن أبي طالب: "فيجب على القارئ أن يتحفَّظ بلفظ العين ، ويعطيها حقها من الحَلْق، فإن تكررت كان بيانُ ذلك آكَدَ؛ لقوتها وصعوبتها على اللسان... وإذا وقع بعد العين الساكنة غَيْنٌ وجب بيان ذلك لقرب المخرجين، ولأن اللفظ يبادر إلى إدغام العين في الغين... وإذا سكنت العين وأتت بعدها هاء وجب التحفظ بإظهار العين

(١) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان /١٠٢، ط. مكتبة الأنجلو ، وينظر : الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس / ٧٥.
(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية / ٨٥.
(٣) العين ١ / ٥٣.
(٤) سر الصناعة ١ / ٧٩.

لئلا تقرب من لفظ الحاء، وتندغم فيها الهاء فتصير كأنها حاء مشددة"(١)، ويزيد أبو عمرو الداني فيقول: "وكذا إن الْتَقى[أي حرف العين] بالثاء والفاء والتاء والشين والصاد وسائر حروف الهمس – لُخِّصَ وبُيِّنَ، وإلا ربما انقلب حاء؛ لما بين الحاء وبينهن من المشاركة في الهمس... فإن التقى بمثله – وهو ساكن – أُدغِم من غير تَكَلُّف، كقوله: ﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ ﴾(٢) وشبهه"(٣)، ونحو كلامهما قال ابن الجزري(٤).

مما سبق يتبيَّن لنا وجوبُ بيان العين، والتحفظُ في نطقها بناصاعتها وطلاقتها، لكن القضية هنا أن البعض يبالغ في هذا البيان مبالغة كبيرة، لدرجةٍ جعلتهم يَسْكُتون سكتة قصيرة عند مجيئها ساكنة في مثل قوله – تعالى–: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾(٥)، فيقف على العين وقفة خفيفة ليُمَكِّن إظهارَها، وعندما سألت أحدهم عن سبب هذه السكتة عند العين الساكنة أجابني بقوله: شيخنا قال لنا:(فَرْقِع) العين. هكذا أجابني متمسكا بمقولة شيخه، وبأنه هكذا تلقاها. وعندما سألته ما علاقة هذه السكتة بـ(الفَرْقَعة) ؟ لم أجد لسؤالي عنده إجابة.

وبذلك لم تصبح القضيةُ بيانَ العين ونصاعتَها، وإنما صارت إلى المبالغة في هذا البيان، فلْنرجع إلى أقوال السادة من أهل الفن والدراية؛ فهم الحَكَم، وكلامهم الفَصْل.

(١) الرعاية / ١٦٢.
(٢) الكهف / ٨٨.
(٣) التحديد / ١٢٥.
(٤) التمهيد /١٤٦.
(٥) الفاتحة / ٥.

يحدثنا ابن الجزري عن التجويد فيقول: "فالتجويد هو حلية التلاوة ، وزينة القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ، ورَدُّ الحرفِ إلى مخرجه وأصله ، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته ، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تَعَسُّف، ولا إفراط ولا تَكَلُّف"(١)، ويقول في المقدمة(٢):

وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حَقَّهَا مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَمُسْتَحَقَّهَا

وَرَدُّ كُلِّ وَاحِدٍ لأَصْلِهِ وَاللَّفْظُ فِي نَظِيْرِهِ كَمِثْلِهِ

مُكَمِّلًا مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلاَ تَعَسُّفِ

ويعلِّق الشيخ ملا علي القاري بقوله: "(مُكَمِّلًا مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ) بكسر الميم: أي حال كون اللافظ مُكَمِّل الصفات حقًّا واستحقاقا، أو بفتح الميم: أي حال كون الملفوظ مُكَمَّل الأداءِ مخرجا وصفة، من غير تكلُّف وارتكاب مشقة في قراءته، بالزيادة على أداء مخرجه، والمبالغة في بيان صفته"(٣)، ومثل هذا ذكر الشيخ زكريا الأنصاري، والفضالي البصير، وابن يالوشه(٤)، وأختم بكلام ابن الجزري عند حديثه عن كيفية قراءة القرآن، وبيان مراتبها، فيقول: " أما التحقيق فهو مصدر من حَقَّقْتُ الشيءَ تحقيقا، إذا بلغت يقينه ، ومعناه المبالغة في الإتيان بالشيء على

(١) النشر / ٢١٢.
(٢) المقدمة الجزرية / ٥.
(٣) المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ، ملا علي القاري ، تح. فرغلي سيد عرباوي /١٢١ ، ط. مكتبة أولاد الشيخ ، الأولى ٢٠٠٩ م .
(٤) ينظر: الدقائق المحكمة، زكريا الأنصاري / ١٦، ، بهامش متن الجزرية ، ط. المطبعة السعيدية – مصر ، الجواهر المضية، الفضالي البصير / ١٥٩، شرح الجزرية، ابن يالوشه ، ضبط وتعليق د. جمال فاروق الدقاق/ ٥٨، ط. مكتبة الآداب.

حَقِّه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه. فهو بلوغ حقيقة الشيء، والوقوف على كُنْهِهِ، والوصول إلى نهاية شأنه ، وهو عندهم عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد ، وتحقيق الهمزة ، وإتمام الحركات ، واعتماد الإظهار والتشديدات ، وتَوْفِية الغنات ، وتفكيك الحروف ، وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض: بالسَّكْت والتَّرَسُّل واليُسْر والتُّؤَدة، وملاحظة الجائز من الوقوف ، ولا يكون غالبا معه قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه"(١)، وزاد القسطلاني: عُرِيًا عن الإفراط، كتحريك ساكن، وتوليد حرف من حركة، وغير ذلك مما لا يجوز"(٢).

كل هؤلاء وغيرهم- ممن يضيق المقام عن ذكرهم - أجمعوا على وجوب إعطاء كل حرف حقه ومستحقه من غير زيادة أو نقصان أو إسراف وإفراط وتعسُّف وتكلُّف، فكل ذلك مخالف للأداء الصحيح، والقراءة السليمة، وما خرج عن حدِّ القراءة وضوابطها فليس بقراءة كما نقل ابن الجزري حيث قال: "روينا عن حمزة- الذي هو إمام المحققين- أنه قال لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: أَمَا علمتَ أن ما كان فوق الجُعُودة فهو قَطَطٌ، وما كان فوق البياض فهو بَرَصٌ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة"(٣).

وعليه.. فما زاد فوق نصاعة العين وبيان طلاقتها من تكلُّف وإفراط ومبالغة وإسراف في إظهار هذه النصاعة والطلاقة - كل ذلك خارج عن حد القراءة الصحيحة، والاتباع فيها.

(١) النشر ١ / ٢٠٥.
(٢) لطائف الإشارات / ٢١٨.
(٣) النشر ١ / ٢٠٥.

صوت القاف

القاف من الأصوات التي اختلف فيها القدماء والمحدثون ، وكذلك اختلفت أنواعها ، وليس المجال مجال تفصيل في ذلك ، والقاف الفصحى"تخرج بالتقاء أقصى اللسان ... بأصل اللهاة ، التقاء محكمًا يحبس النَّفَس ... وهى شديدة مجهورة مستعلية منفتحة مصمتة مقلقلة حال السكون(١) .

ولنا مع القاف وقفتان: واحدة مع الجهر والهمس، والأخرى مع التفخيم والترقيق، وفيما يأتي – إن شاء الله – بيان ذلك:

الوقفة الأولى: إننا نسمع القاف – الآن – من القراء والمثقفين صوتا مهموسا، فهل هذا صواب، أو قد أصابها تطور صوتي ؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد أن نرجع إلى أهل الفن من رجال اللغة والتجويد الذين رووا لنا لغة العرب، وضبطوا لنا الأداء القرآني الصحيح، فهم الفَيْصَل وإليهم الحُكْمُ.

أما اللغويون فقد عدُّوها من الأصوات المجهورة، يقول سيبويه: "فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرفًا"(٢)، وإلى

(١) أصوات اللغة العربية د. جبل ١٥٦ ، وينظر: العين (المقدمة) ٥٢/١ ، الكتاب ٤٣٣/٤-٤٣٤ ، سر الصناعة ٢٧٧/١ ، علم الأصوات برتيل مالمبرج تعريب د. عبد الصبور شاهين ١٢٦، أصوات اللغة العربية د. الدابولي ٨٤.
(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٤.

هذا ذهب المبرد وابن السراج والباقلاني وابن جني والزمخشري وابن الحاجب والاستراباذي والسيوطي، وغيرهم كثير(١).

ولم يختلف رجال التجويد والقراءات عن اللغويين، يقول مكي: "والقاف حرف متمكِّن قويٌّ؛ لأنه من الحروف المجهورة الشديدة المستعلية، ومن حروف القلقلة"(٢)، ويؤكد أبو عمرو جهر القاف فيقول: "وهو حرف مجهور مستعلٍ؛ فيلزم تَعَمُّلُ بيانِ جُهوره واستعلائه، وإلا صار كافا... وإن التقت [القاف] بمثلها وهي مشددة أو مخفَّفة أُنعِم بيانُ جهورها واستعلائها، نحو: ﴿ حَقَّ قَدْرِهِ﴾(٣)...، و﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ ﴾(٤)، وما أشبهه"(٥)، ويقول السخاوي:" والقاف بَيِّنْ جَهْرَها وعُلُوَّها "(٦).

ويعلق ابن أم قاسم المرادي على ذلك بقوله: "وهو حرف قوي؛ لأنه مجهور مستعلٍ شديد ذو قلقلة، فإذا نطقت بالقاف فأخرجها من مخرجها، ووَفِّها حقها من

---

(١) ينظر: المقتضب، للمبرد، تح. الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة١/ ١٩٥، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– مصر ١٤١٥هـ/١٩٩٤م . للمبرد ، الأصول في النحو لابن السراج، تح. عبد الحسين الفتلي ، ٣/ ٤٠١، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت . إعجاز القرآن للباقلاني، تح. السيد أحمد صقر / ٤٤، ط. دار المعارف – مصر، الخامسة، ١٩٩٧م سر الصناعة ١/ ٢٨٧، المفصل في صنعة الإعراب ، للزمخشري ، تح. د. علي بو ملحم /٥٤٧ ، ط. مكتبة الهلال – بيروت ، الأولى ١٩٩٣ ، الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب، تح. د. موسى بناي العليلي، ٢/٤٨٥، ط. وزارة الأوقاف والشئون الدينية العراقية– إحياء التراث الإسلامي، شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ٢/ ٩٢٦، همع الهوامع للسيوطي، تح. عبد السلام هارون، د. عبد الغال سالم مكرم ٣/ ٤٨٨، ط. مؤسسة الرسالة– بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢) الرعاية / ١٧١.

(٣) الأنعام / ٩١.

(٤) الأعراف / ١٤٣.

(٥) التحديد / ١٢٨: ١٢٩.

(٦) عمدة المفيد وعدة المجيد للسخاوي، ضمن (مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعدِّ الآي) ، تح. جمال السيد رفاعي، راجعها د. محمد عبد الواحد الدسوقي /٩.

جميع صفاتها... قال مكي: يجب على القارئ أن يُفخِّم القاف إذا وقعت بعدها ألِفٌ (١)... ولعله يعني بالتفخيم بيانَ استعلاء القاف وجهرها"(٢)، ويقول ابن الجزري: "وهي مجهورة شديدة مستعلية مقلقلة منفتحة"(٣)، وأكتفي بنصوص هؤلاء الأئمة من رجال التجويد والقراءات، وهم أهلُ الفن، والحَكَمُ فيه، وكلامهم الفَصْلُ، فلا يُقْبَلُ بعده كلام.

ويبدو أن جهر القاف هذا هو الذي سوَّغ قَلْبَها غينا عند إخواننا السودانيين، وقَلْبَها جيما قاهرية في السعودية واليمن ومنطقة الصعيد بمصر، وقَلْبَها همزة عند سائر المصريين؛ فقد قُلِبت إلى حروف قريبة منها في المخرج، متفقة معها في(الجهر)، هذا مع الإقرار بوجودها مجهورة في بعض المناطق العربية، كما يُفْهَم من كلام كلٍّ من برجشتراسر والدكتور رمضان عبد التواب الآتي بعد قليل.

ولابد هنا من وقوف مع ما ذكره الدكتور تمام حسان عن جهر القاف أو همسها، حيث قال وهو يتحدث عن الطاء: "أخطأ النحاة والقراء فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلا مرققا لها. أضف إلى ذلك أن النحاة والقراء في القديم وضعوا قاعدة قياسية تقول: إن كل صوت من أصوات القلقلة مجهورٌ شديدٌ، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر كالقاف والهمزة. يقول ابن الجزري: وأضاف بعضهم إليها(يقصد إلى حروف القلقلة) الهمزةَ؛ لأنها مجهورة شديدة"(٤)، وقال أيضا عند حديثه عن كيفية إنتاج صوت القاف: "في الوقت الذي تنفتح فيه الأوتار الصوتية

(١) ينظر: الرعاية / ١٧١.
(٢) المفيد في شرح عمدة المجيد / ٩١.
(٣) التمهيد / ١٤٩.
(٤) مناهج البحث في اللغة /٩٥.

في وضع تنفُّس، لا في وضع جهر. لقد مر بنا أن هذا الصوت من أصوات القلقلة، وأن النحاة قد أخطئوا في اعتباره مجهورا لهذا السبب"(١)، وذكر الدكتور السعران والدكتور رمضان عبد التواب أنها صوت مهموس، لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان(٢).

وفي كلام الدكتور تمام أمران لا بد من الوقوف معهما:

الأمر الأول: حكمه بخطأ النحاة والقراء في عَدِّهم القاف من حروف القلقلة، معتمدا في ذلك على نطقها في العصر الحديث. ولا أدري بأي وَجْهٍ يُقْبَل أن نُحَكِّم مقاييس نطقنا الحاضر لننطلق منها إلى تخطئة القدماء الذين رووا اللغة، وسمعوها من شفاه أصحابها، وأخذوها عنهم معايشة ؟! وهل يُعْقَل أن يكون الدكتور تمام فاته ما يُعْرَف بقانون التطور الصوتي ؟ وأنه أمر فطري يعتري جميع اللغات، وليست العربية فيه بِدْعا منها.

وحتى لا أطيل الكلام في هذه القضية أذكر هنا كلام برجشتراسر، حيث وقف – بعد أن ذكر مخارج الأصوات وصفاتها– على بعض الفروق بين نطقنا ونطق القدماء، فقال: "ونفهم من الجدول والصفات المذكورة بعده، ومن جدول المخارج – أن بعض الحروف يختلف نطقه الحالي عنه في الزمان القديم، وهي:(ق، ج، ط، ض، ظ). أما القاف فهي في العادة اليوم مهموسة، لكنها في الجدول مجهورة، كما هي الآن عند بعض البدو. والطاء أيضا مهموسة اليوم، مجهورة في الجدول. والفرق

(١) مناهج البحث في اللغة / ٩٦.
(٢) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران / ١٣١ ، ط. دار الفكر العربي – القاهرة ، الثانية ١٩٩٧، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / ٥٤.

بينها وبين القاف أن نطق القاف العتيق لا يزال باقيا في بعض الجهات، ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى تماما"(١).

وأختم هنا بكلام الدكتور أحمد مختار عمر، حيث قال: "ذكر سيبويه صوت القاف بين المجهورات، فهل هذا خطأ منه ؟ الحقيقة أن هذا الصوت قد لحقه تطور في النطق الحديث، وأنه كان يُنْطَق مجهورًا في القديم. والصوت الذي وصفه سيبويه قد يكون منطبقًا على نطق القاف جيمًا قاهرية ، أو غينًا [سودانية]، وكلا النطقين ما يزال موجودًا حتى الآن في أماكن مختلفة من البلاد العربية. وقد لحقت صوتَ القاف تطوراتٌ كثيرة في اللهجات الدارجة؛ مما يدل على كثرة تَعَرُّضِه للتطور والتغيُّر. ومن ذلك نُطْقُه همزةً في القاهرة وكثير من المدن العربية، وقد ثبت أن نُطْقَ القاف همزة ليس نطقًا حديثًا وإنما له أصول قديمة"(٢)، ومثل ذلك ذكر الدكتور رمضان عبد التواب فقال: "يُعَدُّ صوتُ القاف من الأصوات التي عانت كثيرا من التغييرات التاريخية في اللغة العربية ... وقد عَدَّ قدماءُ اللغويين العربِ القافَ من الأصوات المجهورة في العربية الفصحى، فإنْ صَدَقَ وَصْفُهم إياها بالجهر كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة. وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي ، في اللهجات العربية المعاصرة ، وإن تقدم مخرجه إلى الأمام قليلا ، وأصبح كالكاف الفارسية"(٣).

---

(١) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، إخراج: د. رمضان عبد التواب، / ١٦، ط. الخانجي بالقاهرة، الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٢) البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، / ١٢١، ط. عالم الكتب، الثامنة، ٢٠٠٣م.وينظر: الأصوات اللغوية، د. أنيس /٧٢، دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر / ٦٤، ط. دار المعارف ، التاسعة، ١٩٨٦م.

(٣) بحوث ومقالات في اللغة، د. رمضان عبد التواب / ٩.

الأمر الآخر: ما ذكره الدكتور تمام في سبب قلقلة بعض الحروف من"أن النحاة والقراء في القديم وضعوا قاعدة قياسية تقول: إن كل صوت من أصوات القلقلة مجهورٌ شديدٌ، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر كالقاف والهمزة. يقول ابن الجزري: وأضاف بعضهم إليها(يقصد إلى حروف القلقلة) الهمزةَ؛ لأنها مجهورة شديدة"(١).

وإذا رجعنا إلى نص ابن الجزري وجدنا الدكتور تمام اقتطع منه ما يوافق ما ذهب إليه، وأهمل ما لا يحتاجه، فحمل الكلام على غير وجهه الذي أراده ابن الجزري حيث يقول: "(وحروف القلقلة) ويقال اللقلقة خمس، يجمعها قولك:(قطب جد) ، وأضاف بعضهم إليها الهمزة؛ لأنها مجهورة شديدة ، وإنما لم يذكرها الجمهور لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارقت أخواتها، ولما يعتريها من الإعلال، وذكر سيبويه معها التاء مع أنها المهموسة، وذكر لها نفخا ، وهو قوي في الاختبار ، وذكر المبرد منها الكاف(٢) ، إلا أنه جعلها دون القاف"(٣).

فالرجل ليس في معرض بيان سبب القلقلة، وإنما في معرض بيان حروفها المجمع عليها والمختلف فيها، فذكر أن الخمسة المجموعة في عبارة(قطب جد) مُجمع على قلقلتها، وأن هناك حروفا أخرى قيل إنها تُقَلْقَل لكنها لم يُجْمَع عليها، وهي(الهمزة والتاء والكاف). ولو أردنا إيجاد جامع لهذه الحروف المجمع على قلقلتها والمختلف فيها- لوجدنا أنها جميعا تتصف بصفة الشدة، تجمعها عبارة(أجدك قطبت)، ولا أجد جامعا بينها جميعا سوى هذا.

(١) مناهج البحث في اللغة / ٩٥.
(٢) ينظر المقتضب ١ / ١٩٦.
(٣) النشر ١ / ٢٠٣.

وعليه فابن الجزري في معرض بيان اتصاف حروف القلقلة بالجهر والشِّدَّة، ولا يعني هذا أن كل مجهور شديد يكون مقلقلا؛ بدليل أن الجمهور أخرج الهمزة من حروف القلقلة مع أنها مجهورة شديدة، وسيبويه أدخل التاء، والمبرِّد أدخل الكاف مع أنهما مهموستان.

الوقفة الثانية: مع تفخيم القاف، فمن المعروف أن حروف الاستعلاء(خص ضغط قظ) كلها مفخمة، يقول ابن الطحَّان: "فالحروف المفخمة سبعة، وهي الطاء والظاء والخاء والغين والقاف والصاد والضاد. فهذه السبعة هي حروف الاستعلاء، مفخمة بإجماعٍ من أئمة الأداء وأئمة اللغة الذين تلقوها من العرب الفصحاء، فمن رققها بعد انعقاد هذين الإجماعين كان لاحنا، وعن طريق العرض المتصل ناكبا"(١)، ومعلوم أن هذه الحروف ليست درجة واحدة في التفخيم؛ فأعلاها ما كان بعده ألِف، وأدناها ما كان مكسورا، يقول ابن الجزري: "أختار أن تكون على خمسة أضرب: ضرب يتمكن التفخيم فيه ، وهو أن يكون بعد حرف الاستعلاء ألف، وضرب دون ذلك ، وهو أن يكون مفتوحا ، ودونه وهو أن يكون مضموما ، ودونه وهو أن يكون ساكنا ، ودونه وهو أن يكون مكسورا"(٢).

وقد ردَّ الشيخ عبد الفتاح المرصفي على من ذهب إلى أن الحروف المستعلية غير المطبقة(القاف والغين والخاء) تُرَقَّق في حالة الكسر فقال: "وليس المراد من الأمر بالترقيق في قوله: "رَقِّقْ"الترقيقَ الحقيقيَّ الآتيَ بَعْدُ في حروف الاستفال، إنما هو

(١) الإنباء في أصول الأداء، أبو الأصبع السُّماتي، المعروف بابن الطحَّان، تح. د. حاتم الضامن / ٤٠، ط. مكتبة الصحابة – الإمارات، ومكتبة التابعين – القاهرة، الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م. والكتاب مشهور باسم (الإنباء في تجويد القرآن) ، ينظر مقدمة المحقق / ١٤.

(٢) التمهيد / ١٢٨، وينظر: الدقائق المحكمة / ٢٠، المنح الفكرية / ١٦٠، شرح المقدمة الجزرية لابن يالوشه / ٧٣.

تفخيم بالنسبة لحروف الاستفال، وسماه أئمتنا التفخيم النسبي، وإليه أميل؛ لأن حروف الاستعلاء لا تُرَقَّقُ مطلقا، وإن كان التفخيم في تلك الحروف الثلاثة أعني(القاف والغين والخاء) في أدنى منزلة- كما مرَّ- فهي مفخمة على كل حال بالنسبة للحروف المستفلة المرققة الآتية بَعْدُ"(١).

وإننا لنجد بعض القراء في زماننا هذا يريدون تفخيم القاف المكسورة تفخيما يسيرا، يصل به إلى أدنى درجات التفخيم كما تقرر، فإذا بهم يرقِّقونها، وينقلونها عن مخرجها الدقيق، ويتزحزحون بها إلى مخرج الكاف؛ فنسمع صوتا أقرب إلى الكاف منه إلى القاف، ولنستمع إلى ابن الجزري وكأنه يحذر من عين ما ذكرتُ فيقول: "والقاف: فليُتَحَرَّز على تَوْفِيَتِها حقَّها كاملا، ولْيُتَحَفَّظ مما يأتي به بعض الأعراب وبعض المغاربة في إذهاب صفة الاستعلاء منها حتى تصير كالكاف الصماء"(٢)، وليس بعد كلام الشيخ في تخطئة هذا الفعل كلام، إضافة إلى ما سبق ذِكْرُه عن ابن الطحَّان من أن حروف الاستعلاء السبعة"مفخمة بإجماعٍ من أئمة الأداء وأئمة اللغة الذين تلقوها من العرب الفصحاء، فمن رققها بعد انعقاد هذين الإجماعين كان لاحنا، وعن طريق العرض المتصل ناكبا"(٣)، والله أعلم.

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، الشيخ عبد الفتاح المرصفي ١ / ١٠٨، ط. مكتبة طيبة- المدينة المنورة، الثانية. وينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكي / ١٣٨، مراجعة طه عبد الرءوف سعد، ط. مكتبة الصفا، الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

(٢) النشر ١/ ٢٢١.

(٣) الإنباء في أصول الأداء / ٤٠.

صوت الجيم

تخرج الجيم"من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى"(١) ، مجهورة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة مقلقلة(٢) ، على خلاف بين القدماء والمحدثين في وصفها، وفي صورتها العربية الأولى(٣).

لكن الصورة التي تعنينا هنا هي الجيم المعروفة باسم الجيم(**المُعَطَّشة**)، فهي التي تتفق مع ما قرره علماء اللغة والتجويد لمخرج الجيم وصفاتها، حيث يتم إنتاجها"بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين [فهي مجهورة]، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللسان(٤) بوسط الحنك الأعلى التقاء محكما بحيث ينحبس هناك مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئا سُمِع صوتٌ يكاد يكون انفجاريا، هو الجيم العربية الفصيحة، فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلا منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى"(٥)، وذلك"نظرا لعِرَض منطقة الالتقاء والحبس؛ فإن الهواء يحتك في انفجاره بمساحة واسعة من اللسان والحنك، ويُسمع هذا الاحتكاكُ شبيها بجرس

---

(١) أصوات اللغة العربية د٠ عبد الغفار حامد هلال، ١٥٤، ط. مكتبة وهبة، الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م وينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٣ ، سر الصناعة ١ / ٤٧.

(٢) ينظر: أصوات اللغة العربية د٠ جبل ١٨٤ ٠

(٣) ينظر هذا الخلاف في: الأصوات اللغوية د٠ أنيس ٧٠ ، أصوات اللغة العربية د٠ هلال ١٥٤ ، المختصر في أصوات اللغة العربية، د. جبل /١٠١.

(٤) ذكر الدكتور جبل أنها"تخرج بالتقاء وسط مقدم اللسان (لا طرفه) بما فوقه من مقدَّم الحنك"، والواقع يشهد لذلك. المختصر في أصوات اللغة العربية، د. جبل /١٠١، ينظر له أيضا: تحقيقات في التلقي والأداء / ١١٤.

(٥) الأصوات اللغوية د٠ أنيس ٧٠.

الشين، وهذه المشابهة هي التعطيش، فهذا مع صدى الانفجار وزمير الجهر كلهن يُكَوِّن صوت الجيم"(١).

وإذا نظرنا إلى الجيم التي يقرأ بها كثير من القراء وحفظة القرآن- في زماننا هذا - وجدناها جيما ضعيفة، لا تتحقق فيها صفات الجيم التي نصَّ عليها أئمة القراءة وأهل الفن والأداء؛ ذلك أن كثيرا منهم ينطقها رخوة؛ حيث يضيق المخرج، ويظل هواؤها مستمرا لا ينحبس، محدثا احتكاكا يُسمع منه صوتُ الجيم، وهذا يتفق مع حال الجيم التي كالشين، والتي تُعرَف بالجيم(الشامية)، وهذه الجيم الشِّينِيَّة عَدَّها سيبويه- واللغويون من بعده - من الحروف غير المستحسنة في العربية، يقول - بعد أن ذكر حروف العربية التسعة والعشرين، وأنها تُلحَق بها حروفٌ مستحسنة تصل بها إلى خمسة وثلاثين حرفا-: "وتكون اثنين وأربعين حرفًا بحروف غير مستحسنةٍ، ولا كثيرةٍ في لغة من تُرْتَضَى عربيته ، ولا تُسْتَحْسَن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ،..."(٢)، فهي حرف غير مستحسن في اللغة.

ولم يختلف كلام علماء التجويد والقراءة عن كلام اللغويين، يقول مكي - بعد أن ذكر الأحرفَ المستحسنةَ في اللغة المستعملةَ في القراءة(٣)، وبيَّن أن الكاف التي بين الشين والجيم من المستحسَن في اللغة، لكنها لم تُسْتَعْمَل في القرآن-: "وبعض العرب يزيد- عند الاضطرار - إلى هذه الخمسة والثلاثين سبعةَ أحرف، وهي قليلة

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية، د. جبل /١٠١.
(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٢. وينظر: سر الصناعة ١ / ٤٦، المفصل ٥٤٦، شرح الشافية للرضي ٣ / ٢٥٥، أسرار العربية لأبي البركات الأنباري / ٢٨٧.
(٣) هي النون الخفيفة، الألف الممالة، الألف المفخمة، الصاد التي تخالطها الزاي، همزة بين بين (الهمزة المسهلة) . ينظر الرعاية / ١٠٧، وينظر أيضا: النشر ١ / ٢٠١.

الاستعمال في الكلام، ولا تُستعمل في القرآن، وهي شاذة، فتبلغ الحروف في عدَّتها اثنين وأربعين حرفا"(١).

ويلفت علماءُ التجويد نظرَنا إلى وجوب التحفُّظ ببيان الجيم حتى لا تلتبس بالشين، يقول مكي: "وإن سكنت الجيم وأتى بعدها تاء وجب أن يَتحفَّظ القارئ بإخراج الجيم من موضعها، وإعطائها حقَّها، وإن لم نفعل ذلك سارَع اللفظ إلى أن يُخالط لفظُ الجيم لفظَ الشين، وذلك لبُعْد ما بين الجيم والتاء في المخرج والصفة، والقوة والضعف... فاللسان يسارِع إلى اللفظ بالشين في موضع الجيم؛ لأنها أخت الجيم ومن مخرجها... والتحفُّظ بإخراج الجيم – في هذا النوع – من مخرجها لازِم للقارئ؛ لئلا يخالطها لفظ الشين... وكذلك يجب أن تُبَيَّن الجيمُ الساكنة إذا أتت بعدها دالٌ... وإن لم يُتحفَّظ بذلك خالطها لفظُ الشين(٢).

ويقول ابن الجزري: "وإذا سكنت الجيم، سواء كان سكونها لازما أو عارضا، فإن كان لازما وجب التَّحَفُّظ من أن تُجعَل شينا؛ لأنهما من مخرج واحد، فإن قوما يغلطون فيها– لا سيما إذا أتى بعدها زاي أو سين – فيُحدِثون همسا ورخاوة، ويدغمونها في الزاي والسين، وذلك نحو ... ﴿ رِجْزًا ﴾(٣) و ﴿ رِجْسًا ﴾(٤) ونحو ذلك، فلا بد من أن يُنْطَق بجهرها وشدتها وقلقلتها. وإذا كان سكونها عارضا فلا بد من إظهار جهرها وشدتها وقلقلتها، وإلا ضعُفت وانمزجت بالشين، وذلك نحو قوله: ﴿ أُجَاجٌ ﴾(٥)، و ﴿ فَخَرَاجُ ﴾(٦)، ونحو ذلك في الوقف"(١).

---

(١) الرعاية / ١١٢.
(٢) الرعاية / ١٧٧.
(٣) البقرة /٥٩.
(٤) التوبة /١٢٥.
(٥) الفرقان / ٥٣، فاطر / ١٢.
(٦) المؤمنون / ٧٢.

وابن الجزري يؤكد على إظهار الجهر والشدة والقلقلة حتى لا تَضْعُف وتنمزج بالشين؛ ذلك أن أبرز فارق بين الجيم المعطشة والجيم التي كالشين ذهابُ صفة الشدة، تلا ذلك ضياعُ القلقلة؛ إذ لم تعُدْ بحاجة إليها.

ويقول عبد الوهاب القرطبي: "الجيم حرف شديد مجهور... ويُتَوَقَّى فيه من دخول الشين عليه واختلاطها به"(٢)، ويقول: "الجيم إذا سكنت ووليتها تاءٌ في مثل قوله – تعالى–: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾(٣) ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾(٤) وما أشبه ذلك – يجب حُسْنُ التأنِّي في تخليص الجيم من شائبة الشين؛ لأن الشين قريبة المخرج من مخرج الجيم، ومُؤَاخِيَةُ التاءِ في الهمس؛ فصار اللسان أسرع إليها"(٥) ويتحدَّث القسطلَّاني عن الحروف المستقبحة فيقول: "وفروع تُسْتَقْبَح، منها: كاف كجيم،... وجيم كشين، فرع عن الجيم الخالصة، وأكثر ذلك إذا أتى بعدها دال، نحو قولهم في الأجدر: الأشْدَر، وقالوا في اجتمعوا: اشتمعوا"(٦)، ويذكر أبو الحسن النوري أنها: "يقع الخطأ فيها من أوجُه، منها: إبدالها إذا سكنت نحو ﴿ وَجْهَكَ ﴾(٧)، و ﴿ النَّجْدَيْنِ ﴾(٨) – شينا، فاحذر من ذلك لا سيما إن أتى بعده تاء، نحو: ﴿ اجْتَنَبُوا ﴾(٩)...؛ لأن مخرجهما

(١) التمهيد / ١٢٣، وينظر: الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، تح. د. غانم القدوري الحمد، ط. دار عمار بيروت، الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
(٢) الموضح في التجويد / ١٠٣.
(٣) الحج / ٣٠.
(٤) القلم / ٥٠.
(٥) الموضح في التجويد / ١٨٣.
(٦) لطائف الإشارات / ١٨٥.
(٧) البقرة / ١٤٥.
(٨) البلد / ١٠.
(٩) الزمر / ١٧.

واحد، والشين حرف مهموس فلا كُلْفة فيه على اللسان؛ فيُسرِع إلى التلفُّظ به في موضع الجيم...والحاصل أنها حرف كثُر خطأ الناس فيها فيجب على القارئ التحرُّز من جميع ذلك، وإعطاؤها حقها من الشدة والجهر والقلقلة"(١).

ونلاحظ من خلال النصوص السابقة أن أئمة التجويد أوجبوا التحفُّظ ببيان الجيم وتخليصها من شائبة الشين، لكن أكثر كلامهم ارتبط بوجود بعض الحروف معها:(تاء، دال، زاي، سين، هاء)؛ مما يُوهِم أنها إذا لم تصحب شيئا من هذه الحروف سَلِمَت من شبهة الالتباس بالشين، لذلك فإن هذه النصوص لم تشفِ غلتي، خاصة أن الأمر – الآن – على غير ذلك؛ فقد التبست بالشين بصورة فجَّة، سواء أتى بعدها شيء من هذه الحروف أم لم يأت. ولقد شفى نفسي قول ابن أم قاسم: "فإذا نطقت بالجيم فَوَفِّها حقَّها من صفاتها، وبَيِّن جهرها وشدَّتها، وإلا عادت شينا أو ممزوجة بلفظ الشين. وضَعْفُها إنما يحدث من الإخلال بشيء من جهرها أو شدتها، وقد ذكر الناظم مُثُلا ليُشَبَّه بها، ويُقاس عليها. فالأول: ﴿المرجان ﴾(٢) يجب المحافظة على بيان الجيم فيه، وتخليص لفظه من شائبة الشين؛ لما بينهما من القرب. والثاني: ﴿ العِجْل ﴾(٣) يجب أيضا تخليص جيمه من الشين..."(٤).

هكذا أتى كلام ابن أم قاسم مطلقا دون تقييد بحرف معين، مما يدل وجود هذا الخطأ في الجيم مطلقا، ومنذ زمان بعيد، وهذا ما ذَكَره ابن الجزري ناسبا إياه

(١) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من اللحن حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، لأبي الحسن النوري الصفاقسي، تح. محمد الشاذلي النيفر / ٥٤، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
(٢) الرحمن / ٢٢، ٥٨.
(٣) البقرة / ٥١.
(٤) المفيد في شرح عمدة المجيد / ٩٥.

للشاميين والمصريين، فقال: "والجيم يجب أن يُتَحَفَّظ بإخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها فينتشر بها اللسانُ فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من أهل الشام ومصر"(١).

وأختم بقول الشيخ أحمد علي صبرة: "وكذلك يجب بيان الشِّدَّة التي في الجيم لئلا تشتبه بالشين؛ لاتحاد المخرج"(٢).

فأئمة الفن – رحمهم الله – قد نبَّهوا على وجود هذا الخطأ في الجيم حتى نحذر الوقوع فيه، ومع هذا نجد الجيم الشِّينيَّة قد شاعت – الآن – عند أكثر القراء، وقلما نجد – في حد علمي– من السادة مُحَفِّظي القرآن ومُعَلِّميه من يُنَبِّه تلاميذَه إليه.

(١) النشر ١ / ٢١٧.

(٢) العقد الفريد في فن التجويد، الشيخ أحمد علي صبرة، تح. د. شعبان محمد إسماعيل / ٥٧، ط. المكتبة الأزهرية للتراث.

صوت الضاد

يجدر بنا أن نقول:(مشكلة الضاد)، لا صوت الضاد؛ لما يكتنفها من صعوبات وخلافات وجَدَلٍ في القديم والحديث، ولما أصابها من تطور أدى إلى تعدُّد صور نطقها من مكان لآخر، بل في المكان الواحد يختلف صوتُها وصداها، وطريقةُ نطقها، ومخرجُها، وصفاتُها.

إن المتَتَبِّعَ لكلام سيبويه عن مخرج الضاد يجده لم يذكره جملة واحدة، بل جاء مخرجها متفرقا في ثنايا حديثه في باب الإدغام، فعند الحديث عن المخارج قال: "ومن بين أول حافَة اللسانِ وما يليها من الأضراس مخرجُ الضاد"(١)، ثم قال في موضع آخر: "وقد تُدْغَم الطاءُ والتاءُ والدالُ في الضاد؛ لأنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللامُ فوقه من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها ، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثَّنِيَّتَيْنِ"(٢)، وفي شرحه لكتاب سيبويه يُعَلِّق السيرافي قائلا: "قال أبو سعيد – رحمه الله–: جعل السبب في إدغام هذه الحروف في الضاد أن هذه الحروف قريبة من اللام، وأن الضاد قد اتصلت باللام، وهي مُنْحَطَّة عن اللام قليلا، وتشترك اللام وهذه الحروف جميعها في أنهن حروف طرف اللسان"(٣)، ويقول سيبويه: "والإدغام في الضاد أقوى لأنها قد خالطت باستطالتها الثنية"(٤)، ويقول: "والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس"(٥).

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣.
(٢) الكتاب ٤ / ٤٦٥.
(٣) شرح السيرافي ٥ /٤٤٠.
(٤) الكتاب ٤ /٤٦٦.
(٥) الكتاب ٤/١٧٤.

من جملة هذه النصوص نستطيع تحديد مخرج الضاد وكيفية نطقها بأنه التقاء أول حافَة اللسانِ(١) بما يحاذيها من أول الأضراس العليا التقاء غير محكَم بحيث ينفذ الهواء من بينهما، ويمتد المخرج مستطيلا حتى يلتقي طرفُ اللسان بلثة الثنيتين وأصولهما، بين موضع الالتقاء في اللام وموضع الالتقاء في الطاء، مع ملامسة الثنية بدرجة أقل من ملامستها في الطاء.

ويتبيَّن لنا أن تحديد سيبويه لمخرجها عند الحديث عن المخارج بأنه "من بين أول حافَة اللسانِ وما يليها من الأضراس "(٢) –كان تحديدا لبداية المخرج، وليس للمخرج كاملا.

وعلماء التجويد على أن هذا الحرف أعسر الحروف وأشَقُّها على اللسان، يقول ابن الجزري: "والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله؛ فإن ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقَلَّ مَنْ يُحْسنه، فمنهم من يخرجه ظاء ، ومنهم من يمزجه بالذال ، ومنهم من يجعله لاما مفخمة ، ومنهم من يُشِمُّه الزايَ، وكل ذلك لا يجوز... فليُحْذَر من قَلْبِه إلى الظاء ، لا سيما فيما يشتبه بلفظه نحو: ﴿ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ ﴾(٣) ، يشتبه بقوله: ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾(٤) ، وليعمل الرياضة في إحكام لفظه خصوصا إذا جاوره ظاء، نحو: ﴿ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾(٥) ، ﴿ يَعَضُّ الظَّالِمُ ﴾(٦)"(٧).

(١) يُعْنى بأول الحافة موضع التقائها بأول الأضراس من جهة الحلق.
(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣.
(٣) الإسراء / ٦٧.
(٤) النحل /٥٨، الزخرف / ١٧.
(٥) الشرح / ٣.
(٦) الفرقان / ٢٧.
(٧) النشر ١ / ٢١٩.

وإذا نظرنا إلى نطق الضاد الآن وجدناه يختلف اختلافا كبيرا عن وصف علماء اللغة والتجويد؛ ذلك أننا نسمع صوتا شديدا يخرج في الغالب من مقدم اللسان- أو حافته- بالتقاء عضوي النطق في المخرج التقاء محكما يُغْلِق المخرج ويَسُدُّ منفذَ الهواء، ثم ينفتح المخرج انفتاحا فجائيا؛ فنسمع صوتا انفجاريا شديدا، وكل ذلك يستلزم المخالفة الكبيرة لما ذكره أهل الفن عن هذا الصوت.

ولتحقيق الأمر في هذه القضية ينبغي الوقوف مع الأمور التالية:

أولا: المخرج:

سبق بيان المخرج عند سيبويه، ولم يخرج علماءُ التجويد عما قاله سيبويه عند ذكره للمخارج، يقول مكي: "الضاد تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم، من أول حافَة اللسان وما يليه من الأضراس"(١)، ويكاد أهل الفن يُجمعون على ذلك(٢)، وهذا يثبت خطأ المخرج الذي عليه كثير من القراء الآن؛ حيث تقدَّمت الضاد عن مخرجها حتى صارت تخرج عند أكثرهم من مخرج الدال، كما هو الحال في نطقها عند أكثر المصريين اليوم، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "الضاد - كما وصفها القدماء - كانت تتكوَّن بمرور الهواء بالحنجرة، فيحرِّكُ الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، غير أن مجراه في الفم جانبِيٌّ، عن يسار الفم عند أكثر الرواة، أو عن يمينه عند بعضهم، أو من كلا الجانبين كما يستفاد من كلام سيبويه... والذي نستطيع تأكيده - هنا- هو أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور حتى

(١) الرعاية /١٨٥.

(٢) ينظر: التحديد للداني /١٠٣، الفرق بين الضاد والظاء ، أبو عمرو الداني، تح. د. حاتم صالح الضامن /٣٢ ، ط. دار البشائر – سوريا، النشر ١ /٢١٩، إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة /٧٤٦، شرح طيبة النشر، للنويري ١ /٢٣٢، المنح الفكري / ٨٣ ، جهد المُقِلّ، للمرعشي /١٣٠.

صارت إلى ما نعهده لها من نُطْقٍ في مصر، وأن هذا التطور كان قد تَمَّ في عهد ابن الجزري (١)، أي في القرن الثامن الهجري"(٢).

وقد استوقفني هنا قول الشيخ الحصري- رحمه الله- : "الضاد تخرج من حافَة - أي جانب - وسط اللسان بعد مخرج الياء،... فتلتصق الحافة التصاقا محكما بما يحاذيها من الأضراس العليا، وينطبق وسط ظَهْر اللسان على الحنك الأعلى، ويرتفع أقصى ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى أيضا"(٣)، فلا أدري: ما دَخْلُ(وَسَطِ ظَهْرِ اللسان) وانطباقِه على الحنك الأعلى بمخرج الضاد ؟ ! فهذا الكلام لم أقف على مؤيد له في القديم أو الحديث.

ثانيا: الصفة:

تكاد تُجمع كتب التجويد على أن الضاد مجهورة رخوة مستعلية مطبقة مصمتة مستطيلة، وصفةُ الاستطالة مع اختلاف المخرج كانا الفارق بين الضاد والظاء، يقول مكي: "والضاد يشبه لفظُها بلفظ الظاء... ولولا اختلاف المخرجين، وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظهما واحدا، ولم يختلفا في السمع"(٤)، ويقول ابن أم قاسم: "ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لاتَّحدا في السمع"(٥).

ولا خلاف في صفات الضاد غير ما وجدته من الشيخ عبد الغني النابلسي، حيث قال: "والضاد والظاء المعجمتان مجهورتان لا مهموستان،... وهما شديدتان لا

(١) سيأتي كلام ابن الجزري في ذلك عند الحديث عن الصفة.
(٢) الأصوات اللغوية / ٥٢.
(٣) أحكام قراءة القرآن الكريم للشيخ محمود خليل الحصري / ٦٢ (هامش) .
(٤) الرعاية / ١٨٤.
(٥) المفيد في شرح عمدة المجيد، للحسن بن قاسم /١٠٩.

رخوتان"(١)، فنص على أنهما شديدتان، والراجح عندي أن هذا سهو من الناسخ؛ إذ لم يقل أحد من أهل الفن – فيما أعلم – بذلك، وإن كان في تحديد الشيخ الحصري– السابق – للمخرج ما قد يؤيد ذلك، حيث قال: "فتلتصق الحافة التصاقا محكما بما يحاذيها من الأضراس العليا"(٢)، والالتصاق المحكم هذا يؤدي إلى الشدة، بالرغم من نصِّه على أنها رخوة(٣).

وإذا نظرنا إلى نطق أكثر القراء الآن وجدنا الضاد في غاية الشدة، وهي أقرب إلى الطاء، أو إلى الدال المفخمة، وأترك الكلام هنا لأهل الفن، يقول ابن الجزري: "ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها، بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب"(٤)، وقال مُلَّا عليٌّ القاريُّ: "وألسنة الناس فيه مختلفة، فمنهم من يُخرجه ظاء، ومنهم من يخرجه دالا مهملة أو معجمة، ومنهم من يخرجه طاء مهملة كالمصريين، ومنهم من يُشمُّه ذالا، ومنهم من يُشْرِبها بالظاء المعجمة"(٥)، ويُعلِّق المرعشي على قوله: "يخرجه طاء مهملة"فيقول: "لم يَقُل كالطاء المهملة إشارة إلى أن الضاد على ما نطقوا به يزول عن مخرجه إلى مخرج الطاء؛ فيكون أحرى أن يسمى طاء، والله أعلم"(٦)،

---

(١) الاقتصاد في النطق بالضاد، عبد الغني النابلسي / ٥ (مخطوط) بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو.

(٢) أحكام قراءة القرآن الكريم / ٦٢ (هامش) .

(٣) ينظر: أحكام قراءة القرآن الكريم / ٦٢ (هامش) .

(٤) التمهيد / ١٤١، وقد علَّق أبو الحسن النوري الصفاقسي على ذلك بقوله: "وفي قوله: (لا يقدر) صوابه: لا يعرف؛ إذ من المعلوم أنهم غير عاجزين عن ذلك، بل لو عُلِّموا تعلَّموا. وقوله: (وبعض أهل المغرب) يريد الأقصى، وأما الأدنى فإنهم يبدلونها ظاءً معجمة كما تقدم، وليس هذا مختصًّا بأهل مصر والغرب، بل يفعله كثير من الناس ممن يدعي العلم ومعرفة التجويد". تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين ، لأبي الحسن النوري الصفاقسي/٨٧.

(٥) المنح الفكرية / ١٧٧.

(٦) كيفية أداء الضاد للمرعشي / ٢٢.

ونُطقُها كالطاء كان السبب في تأليف المرعشي لرسالة(كيفية أداء الضاد) حيث يقول: "وأما المقصد [من تأليفها] فهو أن ما شاع في أكثر الأقطار من تَلَفُّظ الضاد المعجمة كالطاء المهملة في السمع، بسبب إعطائها شِدَّةً وإطباقا كإطباق الطاء وتفخيما بالغا كتفخيمها – خطأٌ لوجوه"(١)، ثم ذكر أسباب هذا الخطأ.

ويعقِّب المرعشي على شيوع هذا الخطأ في أكثر الأقطار بقوله: "فإن قلت: كيف شاع التقصير فيها في أكثر الأقطار ؟ قلت: ألم تسمع ما قاله صاحب الرعاية: التحفُّظ بلفظ الضاد أمر يقصِّر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة، لصعوبته على من لم يَدْرَب فيه...(٢) انتهى، وذلك في تاريخ أربع مئة وعشرين، وزماننا هذا أحق بالتقصير، فاعتبروا، فلعل غلط المصريين قد شاع"(٣).

فهو يَرجع بالخطأ في لفظ الضاد إلى زمن مكي بن أبي طالب، في أوائل القرن الخامس الهجري؛ مما يدل على أن جذور هذا الخطأ ممتدة إلى القرون الأولى، ولن يصعب هذا الحرف على أكثر الأئمة والقراء في زمن مكي بحيث ينبِّه على وجوب التحفُّظ به – إلا إذا كان الأمر متفشيا قبل التاريخ المذكور.

ثالثا: التشابه مع الظاء

إننا حين نسمع كلًّا من الضاد والظاء في نطق أكثر القراء الآن – لا نجد بين جرسيهما أدنى تشابُهٍ، على الرغم من أن أهل الفن قد نبَّهوا منذ القرون المتقدِّمة على وجود تشابُهٍ بين صدى الحرفين في السمع، يقول مكي بن أبي طالب(ت ٤٣٧ هـ): "والضاد يشبه لفظُها بلفظ الظاء... ولولا اختلاف المخرجين، وما في

(١) كيفية أداء الضاد للمرعشي / ٢١.
(٢) ينظر: الرعاية / ١٨٤.
(٣) كيفية أداء الضاد للمرعشي / ٢٤.

الضاد من الاستطالة لكان لفظهما واحدا، ولم يختلفا في السمع"(١)، ويقول: "والظاء حرف يشبه لفظُه في السمع لفظَ الضاد؛ لأنهما من حروف الإطباق، ومن الحروف المستعلية، ومن الحروف المجهورة..."(٢)، وقال: "وكذلك إن كان الثاني مشددا نحو ﴿ يَعَضُّ الظَّالِمُ ﴾، فهذا ليس يُخاف من دخول الإدغام فيه؛ لأن المشدَّد لا يُدغَم في شيء أبدا،... ولكن يُخاف أن يُلفَظ بالأول مثل ما لُفِظ بالثاني؛ لتقارب التشابه والألفاظ في الضاد والظاء، فيجب أن يتبيَّن الضاد من الظاء"(٣)، وقال: "فلا بد للقارئ المجوِّد أن يلفظ بالضاد مفخمة مستعلية منطبقة مستطيلة، فيظهرَ صوتُ خروجِ الريح عند ضَغْط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها، ومتى فرَّط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو الذال؛ فيكون مُبَدِّلًا ومُغَيِّرًا"(٤).

ويتأكَّد هذا التشابه في قول سيبويه: "ومن المشربة حروفٌ إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولى[يعني حروف القلقلة]، وهي الزاي والظاء والذال والضاد؛ لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسلَّ آخرُه وقد فَتَرَ من بين الثنايا؛ لأنه يجد منفذًا؛ فتسمع نحو النفخة. وبعض العرب أشد صوتًا، وهم كأنهم الذين يرومون الحركة. والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس"(٥)، فجمع بين الضاد مع الذال والزاي والظاء في هذه النفخة.

(١) الرعاية / ١٨٥.
(٢) السابق / ٢٢٠.
(٣) السابق / ١٨٥.
(٤) السابق / ١٨٤.
(٥) الكتاب ٤/١٧٤.

وجميع هذه النصوص تدل دلالة قاطعة على التشابُه القوي بين جرس الحرفين في السمع، وقد أكثرت من نصوص مكي في هذا الموضع لبيان تأكيده على وجوب التحفُّظ بنطق الضاد حتى لا تُغيَّر إلى الظاء أو الذال، وذلك بسبب تقارب صدى الحروف الثلاثة، ويبدو أن هذا التقارب هو ما جعل ابن دريد يضم الحروف الثلاثة مع الثاء فقال: "جنس حروف أدنى الفم: ومن جنس حروف أدنى الفم التاء والطاء والدال ، وأدنى منها أيضا مما هو شاخص إلى الغار الأعلى: الظاء والثاء والذال والضاد"(١).

ويؤكد هذا التشابهَ أبو القاسم الزنجاني(ت ٤٧١ هـ) (٢) فيقول: "هذا باب معرفة ما يُكتب بالضاد والظاء معا، والفرق بينهما في الخط والهجاء؛ إذ كانا على بناء واحد وصورة واحدة في اللفظ"(٣)، وواضح أن المراد بكونهما على(صورة واحدة في اللفظ) هو شدة التشابه بينهما؛ إذ لا يُعْقل أن يوجد حرفان على صورة واحدة في لفظيهما.

ويقول أبو الحجاج يوسف المقدسي(ت ٦٣٧ هـ): "وقد سمعنا وشاهدنا النبط والبربر يقلبون الظاء إذا وقع في كلامهم طاء، وما زال هذا الحرف كثيرا ما

(١) جمهرة اللغة، لابن دريد، تح. د. رمزي منير بعلبكي، (المقدمة) ١ / ٤٤، ط. دار العلم للملايين، الأولى ١٩٨٧م.

(٢) وُلد سنة ثمانين وثلاثمائة، وتُوفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فهو معاصر لمكي بن أبي طالب، متأخر عنه وفاة.

(٣) الفرق بين الظاء والضاد لأبي القاسم الزنجاني ، تح. د. حاتم الضامن / ٢٣، ط. دار البشائر / دمشق، الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

يشتبه على الناس بالضاد، حتى على العرب... فالظاء اشتبه في اللفظ العامي مع الضاد"(١).

ويقول: "والناس اليوم على خلاف ذلك، يقلبون الضاد في جميع الكلام ظاء في النطق، وما هو إلا لأن مخرج الظاء أسهل على اللسان من مخرج الضاد"(٢).

ويقول الجعبري(ت ٧٣٢ هـ): "ولفظها يضارع لفظ الظاء؛ لأنهما أكثر الحروف تناسبا في الصفة"(٣).

ويقول ابن أم قاسم(ت ٧٤٩ هـ)(٤): "وأما ما يشتبه لفظه بلفظ الضاد من الحروف فحرفان، وهما الظاء واللام؛ وذلك لأن الظاء يشارك الضاد في أوصافه المذكورة غير الاستطالة، ولذلك اشتد شَبَهُهُ به، وعسُر التمييز بينهما، واحتاج القارئ في ذلك إلى الرياضة التامة، ولكن مخرج الظاء متميِّز عن مخرج الضاد، لا اتصال بين مخرجيهما، ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لاتَّحدا في السمع."(٥)، ويقول: "لأن الظاء تشارك الضاد في أوصافه لا في مخرجه... فإذا أردت فصلها [أي الضاد] عن الظاء فأَخْرِجْها من مخرجها، وبيِّن استطالتها، وبذلك يفترقان"(٦).

---

(١) الظاء، أبو الحجاج يوسف المقدسي / ١٧، تح. د. حاتم الضامن، ط. دار البشائر – دمشق، الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م.

(٢) السابق / ١٩.

(٣) شرح الجعبري على متن الشاطبية ، المسَمَّى (كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني) للجعبري ، تح. فرغلي سيد عرباوي ، ٥ /٢٥٨٥، ط. مكتبة أولاد الشيخ للتراث .

(٤) هو والجعبري متعاصران.

(٥) المفيد في شرح عمدة المجيد، للحسن بن قاسم / ١٠٨.

(٦) السابق / ١٠٩.

وما عَقَدَ ابنُ الجزري(ت ٨٣٣ هـ) بابا في مقدمته أسماه(باب الضاد والظاء) – إلا لشدة شبههما، وخَلْطِ الناس بينهما، فنصَّ على أن الضاد تتميز من الظاء بالاستطالة والمخرج، ثم ذكر الكلمات الواردة في القرآن الكريم بالظاء حتى لا يُخْطِئ الناسُ فيها، وختم الكلام بأنهما إذا تلاقيا لَزِم بيانُهما(١).

ويأتي عليٌّ بن غانم المقدسي(ت ١٠٠٤ هـ) في رسالته(بغية المرتاد) فيعقد"الفصل الثاني: فيما يدل بالتصريح على أن التلفظ بالضاد شبيه بالظاء هو الصحيح ، وهو المنقول من كلام الفحول ، المتلقَّى كلامهم بالقبول"(٢)، وذكر فيه جملة من أقوال العلماء الدالَّة على إثبات الشَّبَه بينهما، وفي التنبيهات التي ختم بها رسالته قال: "قلت: ظهر لي بفضل الله الجليل ، ما لعله يروي الغليل ، ويشفي العليل ، وهو أنّ تشابه المخرجين– وإن كانا بعيدين– سبب لتشابه لفظي الحرفين ، فإن مخرج الظاء من طرفِ اللسان وأطرافِ الأسنان ، ومخرج الضاد من حافة اللسان وما يليه من الأضراس ، التي هي من جنس الأسنان ، ولا يخفى أن بين طرف اللسان وحافته مشابهة ، من حيث أنّ كلاًّ منهما نهاية مساحة جرم اللسان ، فالطرف نهايته من حيث مقدم الفم ، والحافة نهايته من جهة يسار الفم ، أو يمينه ، فمخرج كل من الظاء والضاد نهايةُ اللسان وبعضُ الأسنان ، فلا جرم تشابه منهما اللفظان، ولعل هذا– والله سبحانه وتعالى أعلم– هو السبب في اشتراكهما في تلك الصفات المذكورة"(٣).

---

(١) ينظر المقدمة الجزرية / ٦.

(٢) ينظر بغية المرتاد لتصحيح الضاد للمقدسي /١٢٧، تح. د. محمد جبار المعيبد، ونُشرت في مجلة المورد العراقية، مجلد ١٨ – عدد ٢، عام ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م.

(٣) السابق / ١٢٩.

ويقول المرعشي(ت ١١٥٠ هـ): "وظاهر من الأبحاث السابقة بيان الفرق بين الضاد والظاء والذال المعجمات، الكل متشاركة في الجهر والرخاوة، ومتشابهة في السمع، لكن الأخيرين من مخرج واحد، والضاد ليس من مخرجهما"(١)، وقد سبق بيان سبب تصنيفه رسالة(كيفية أداء الضاد)، وهو"ما شاع في أكثر الأقطار من تَلَفُّظ الضاد المعجمة كالطاء المهملة في السمع، بسبب إعطائها شِدَّةً وإطباقا كإطباق الطاء وتفخيما بالغا كتفخيمها"(٢)، ثم أكَّد تشابهها مع الظاء فقال: "وأما إن جعلتها كالظاء المعجمة في السمع بأن جعلت مخرجها من حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس، وأعطيت لها صفاتها المذكورة وهي: الإطباق والتفخيم الوسطان والرخاوة والجهر والاستطالة والتفشي القليل – فهذا هو الصواب المؤيَّد بكلمات الأئمة في كتبهم، والحمد لله على التوفيق"(٣).

هذه جملة من كلام بعض الأئمة الأعلام من أهل الفن– وغيرها كثير – لم أقصد فيها الإطالة لذاتها، وإنما قصدت بيانَ أن النصَّ على تشابه الحرفين يرجع إلى القرون الأولى، وقد عمدت إلى اختيار هذه النماذج المتتابعة عبر القرون – والمتعاصرة في بعضها– لبيان أنه لا يكاد يخلو زمان إلا وعلماؤه ينصُّون على هذا التشابه نصًّا، ويحذرون من الخلط بين الحرفين بسبب هذا التشابه، فليست القضية حادثة في زماننا، وإنما هي متأصلة في تاريخ الأمة العلمي.

وإذا نظرنا إلى العصر الحديث وجدنا من أئمة التجويد والأصوات مَن ينبِّه على هذه القضية تنبيها، من هؤلاء على سبيل التمثيل حتى لا أطيل:

---

(١) جهد المقِلّ / ١٦٧.
(٢) كيفية أداء الضاد للمرعشي / ٢١.
(٣) السابق / ٢٣.

١- الشيخ إبراهيم السمنودي، سمعت منه الضاد الشبيهة بالظاء، وذلك في تسجيل صوتي له(١)، خطَّأ فيه ما هو شائع من نطق المصريين لها كالدال المفخمة، وخطَّأَ - أيضا- نطقها ظاءً، وبيَّنَ قُرْبَ الضادِ والظاء في السمع؛ لذا ينبغي التمييز بينهما، وذَكَرَ أن نُطْقَ الضاد هكذا مُجْمَعٌ عليه، لا مخالف له في النطق العربي الفصيح، وعند أهل الأداء الصحيح.

٢- الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل، حيث قال- بعد أن عرض طائفة من أقوال العلماء-: "وثبوت التشابُهِ والالتباس منذ القرن الأول والثاني دليل على أن صدى الضاد في نطق القدماء كان يشبه صدى الظاء. فهو النطق الفصيح؛ لأن القرن الأول والثاني هما آخر قرون الاحتجاج"(٢).

٣- الأستاذ الدكتور شعبان محمد إسماعيل، حيث قال معلقا على كلام الشيخ علي أحمد صبرة (٣): "هذا الفرق إنما يُحتاج إليه بناء على ما تقدَّم من أن مخرج الضاد إحدى حافتي اللسان مع ما يليها من الأضراس، حتى تَجِدَ بينهما منفذا لا ينضغط فيه الصوتُ ضَغْطَ الطاء، فيظهر معها صوتُ خروج الريح، وحينئذٍ تكون مشتبهة في السمع بالظاء، كما هو المنصوص عليه في جميع كتب القراءات والتجويد(٤)، فإن الاشتباه بينهما إنما يحصل حينئذ فيُحتاج إلى ذلك الفرق... فلولا أن الضاد عند النطق تجدُ منفذا من بين الأضراس، حتى يظهر معها صوت

(١) رابط هذا التسجيل على الشبكة العنكبوتية:
as؛http://www.youtube.com/watch?v=lVkmFtUQ

(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية، د. محمد حسن جبل / ١١٨.

(٣) هو قوله: "فهما وإن اشتركا في أكثر الصفات إلا أن الضاد تمتاز عن الظاء مخرجا واستطالة، وكفى بذلك فرقا بينهما". العقد الفريد في فن التجويد، علي أحمد صبرة / ٥٩.

(٤) في نصِّه على الشبه في جميع الكتب نظر، فكثير منها لم ينصَّ على هذا التشابه بينهما، إلا أن يقصد بذلك النصَّ على المخرج الذي يَثْبُتُ بتحقُّقِه التشابُهُ.

خروج الريح ما اشتبهت بالظاء، ولا عقدوا بينهما فرقا... لأنه عند النطق بها يظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان من غير خروج طرف اللسان بين الثنايا، كما هو في الظاء؛ فحينئذ يكون صوتها عند السامع يقرُب من صوت الظاء"(١).

ونلاحظ هنا أن الدكتور شعبان إسماعيل جعل السبب في تشابُهِ الحرفين وجود منفذ بين الأضراس يخرج منه الريح؛ فيحدث منه ذلك الصوت الذي يشبه صوت الظاء، وهذا الأمر قد نصَّ عليه الأئمة منذ العصور الأولى، يقول ابن جني: "واعلم أن في الحروف حروفا مشربة ، تحفز في الوقف ، وتضغط عن مواضعها ، وهي حروف القلقلة ، وهي القاف والجيم والطاء والدال والباء؛ لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت ، وذلك لشدة الحفز والضغط ، وذلك نحو: الْحَقْ واذْهَبْ واخْلِطْ واخْرُجْ، بعض العرب أشد تصويتا.ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ إلا أنها لم تضغط ضغط الأول ، وهي: الزاي والظاء والذال والضاد ، وبعض العرب أشد تصويتا"(٢).

ويقول مكي: "فلا بد للقارئ المجوِّد أن يلفظ بالضاد مفخمة مستعلية منطبقة مستطيلة، فيظهرَ صوتُ خروجِ الريح عند ضَغْط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها"(٣)، ونقل كلامه المرعشي(٤).

(١) العقد الفريد في فن التجويد، علي أحمد صبرة / ٥٩، حاشية رقم (٣) .
(٢) سر الصناعة ٦٣/١.
(٣) الرعاية / ١٨٤.
(٤) ينظر: جهد المقِلّ، للمرعشي / ١٦٩.

ويقول الرضي: "وبعض الحروف إذا وقفت عليها خرج معها مثل النفخة ولم تنضغط ضغط الأول، وهي الظاء والذال والضاد والزاي ، فإن الضاد تجد المنفذ بين الأضراس، والظاء والذال والزاي تجد منفذًا من بين الثنايا"(١).

٤- الشيخ عبيد الله بن عطاء الأفغاني(٢) يقول: "وجدت من قبائل قحطان الذين لم يختلطوا بالناس وبقوا على فطرتهم من يقرأ الضاد من مخرجها الصحيح بلا كلفة، مشابهة بالظاء صوتا"(٣)، وذلك في تقديمه لكتاب الحجة الوضاء الآتي ذِكْرُه إن شاء الله.

٥- الشيخ محمود عبد الرحمن اليحيى(٤)، حيث صنَّف كتابا في هذه القضية أسماه(الحجة الوَضَّاء في إثبات الشبه بين الضاد والظاء - دراسة صوتية تجويدية فقهية)، وقد حَشَدَ لكتابه كوكبة من علماء التجويد والأصوات(٥) قاموا بالتقديم له والثناء عليه.

(١) شرح شافية ابن الحاجب، للرضي، تح. محمد نور الحسن، وآخرين ٣ / ٢٦٣، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م.

(٢) مدرس القرآن بكلية الدعوة بالمدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف.

(٣) الحجة الوضَّاء في إثبات الشبه بين الضاد والظاء، محمود عبد الرحمن اليحيى / ١٢، ط. الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، توزيع: دار الاستقامة بالقاهرة، ودار طيبة الخضراء بالسعودية.

(٤) مدرس القراءات بكلية المعلمين بمكة المكرمة وقت تأليفه هذا الكتاب، وهو الآن في كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى.

(٥) هم – حسب ترتيب ورودهم في الكتاب: الشيخ محمد بن عبد الله السبيل – إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء، الشيخ إبراهيم السمنودي – شيخ الإقراء وإمام المقرئين، الشيخ عبيد الله الأفغاني – مدرس القرآن بكلية الدعوة بالمدينة المنورة وبالمسجد النبوي الشريف، الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل – أستاذ أصول اللغة بكلية القرآن الكريم جامعة الأزهر وعميد كلية اللغة العربية بالمنصورة الأسبق، الأستاذ الدكتور سامي هلال– أستاذ أصول اللغة وعميد كلية القرآن الكريم جامعة الأزهر.

وقد أثبت الشيخُ محمودٌ الشَّبَهَ بين الضاد والظاء، مستدلا على ذلك بعدد من الأدلة المتنوعة، مستندا إلى كلام أئمة التجويد والقراءات وأئمة اللغة من عرب وغيرهم، متقدمين ومتأخرين، تجاوز عددهم مائة عالم.

والشيخ تناول القضية من جوانبها الصوتية والتجويدية والفقهية، باحثا هذه الجوانب بحثا دقيقا، وقد قفت على هذا الكتاب بعد طول معاينة للكتب ومعايشة لها، قبيل انتهائي من الحديث عن الضاد، ولو قدَّر اللهُ لي الوقوفَ عليه قبل ذلك لوفَّر عليَّ الكثير من الجهد والوقت والتعب في البحث؛ لما حوى من جهد وافر في القضية، وجَمْعٍ لأقوال كثير من علماء الفن وأهل التخصص، ولكن قدَّر الله، وله الحمد والمنَّة.

رابعا: الرواية والتلقِّي:

إن الذين ينطقون الضاد شبيهة بالطاء أو بالدال المفخمة يحتجون لنطقهم بالتلقي والسماع من شيوخهم، ومعلوم أن القرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي، ولا يُعتمَد القارئُ إلا إذا أجازه الشيخُ، وهم بذلك يعتمدون على أصل أصيل، ويلجئون إلى حصن منيع، وأنا واحد ممن تلقَّاها هكذا، وأجازني بها غير واحد ممن لهم في علم التجويد والقراءة قدَمٌ راسخة، كل ذلك جعلني أتوقف مرات ومرات في كتابة المبحث الخاص بالضاد، خاصة أن علمي بنطقها شبيهة بالظاء كان مقصورا على جانب الدراسات الصوتية، والتدوين في كتب التجويد والقراءات، معزولا عن التلقي والسماع.

وهذا جعلني في حيرة من أمري، غير أني وجدت كثيرا ممن ينطقونها شبيهة بالظاء يعزون ذلك إلى التلقي والسماع أيضا، على ما يأتي بيانه فيما يلي:

يقول الشيخ عبيد الله بن عطاء الأفغاني: "أما أداؤها [الضاد] من مقدَّم الفم من مخرج الدال المطبقة المفخمة الشديدة الانفجار، ظنًّا منهم أنهم تلقوا هكذا، والقرآن بالتلقي لا يعتمد على الكتب المعتمة – فنقول: نعم، إننا تلقينا خلاف ما تلقيتم، نُخرجها من مخرجها، فحينئذٍ يُشبه صوتُها صوتَ الظاء – لا محالة – قبل(٥٠) سنة، في عام(١٣٦٥ هـ)، فأيّ التلقي تعتقدون ؟ بل تلقِّيكم غير صحيح"(١)، ويقول: "وإذا كانوا يدَّعون أن هذا متواتر فأيّ نوع التواتر هذا حينما كان المصريون ينطقون بالطاء المهملة، فكان التواتر في هذا العصر طاءً مهملة، ثم تطور فصار دالًا مفخما كما هو عادة كثير من القراء والأئمة – هداهم الله – ويظنون أن من خالفهم خالَفَ الصواب"(٢)، وقد سمعتها من الشيخ الأفغاني شبيهة بالظاء(٣).

كذلك سمعتها شبيهة بالظاء من الشيخ السمنودي في تسجيل صوتيٍّ له، خطَّأ فيه ما هو شائع في نُطْقِ المصريين لها كالدال، وبيَّن قُربَها من الظاء في السمع؛ لذا ينبغي التمييز بينهما. وذكَرَ كذلك أن نُطقها شبيهة بالظاء مُجْمَعٌ عليه، لا مخالف له في النطق العربي الفصيح، وعند أهل الأداء الصحيح(٤).

ويقول الدكتور شعبان إسماعيل- بعد أن ذكر المخرج الصحيح للضاد وقُرْبَ صوتها من الظاء، واستدل على ذلك بكلام أهل الفن، وبيَّن إفراط المصريين والشاميين في نطقها-: "وقد تلقَّيتُ ذلك على شيوخي: الشيخ عامر السيد

---

(١) تقديمه لكتاب: الحجة الوضَّاء في إثبات الشبه بين الضاد والظاء، محمود عبد الرحمن اليحيى / ١٢.
(٢) السابق / ١٣.
(٣) رابط قراءة الشيخ الأفغاني على الشبكة العنكبوتية:
ec٦u٠http://www.youtube.com/watch?v=yWaFTm
(٤) رابط كلام الشيخ السمنودي وقراءته على الشبكة العنكبوتية:
as٤http://www.youtube.com/watch?v=lVkmFtUQ

عثمان، والشيخ حسن المري، الشيخ إبراهيم شحاتة، والشيخ محمد إسماعيل الهمداني، والشيخ عبد الفتاح القاضي، وغيرهم، ولا يُحْكِم ذلك إلا السماعُ من الشيوخ، كما هو الشأن في التلقِّي الصحيح"(١).

وقد سمعتها أيضا في تلاوة كلٍّ من: الشيخ محمد السبيل(٢)، والشيخ عبد الحليم بدر عطا الله(٣)، والشيخ الدكتور سعود الشريم(٤)، والشيخ عبد الله الجوهري(٥).

فكل ذلك يؤيد وجود الشَّبَه بين الضاد والظاء، وإذا كان الناطقون لها الآن في مصر وغيرها يحتجون بالتلقي – فإن الناطقين لها شبيهة بالظاء يحتجون بالتلقي أيضا، والدراية تؤيدهم؛ فكلام أهل التجويد والقراءة واللغة يؤيد هذا النطق، والرواية الموافقة للدراية هي الصحيحة المقبولة المعتبرة عند أهل الفن، وما ذكر الأئمةُ – رحمهم الله – المخارجَ والصفاتِ إلا لتكون موازين للنطق الصحيح، يُحْتَكَم إليها عند الاختلاف، وهذه الموازين – من خلال ما سبق – تحكم للناطقين بها شبيهة بالظاء.

---

(١) جاء هذا في تحقيق د. شعبان إسماعيل لكتاب العقد الفريد في فن التجويد، علي أحمد صبرة / ٦٢ (حاشية).

(٢) رابط قراءته على الشبكة العنكبوتية:

http://www.youtube.com/watch?v=mlP6UEJ2FUc

(٣) رابط قراءته على الشبكة العنكبوتية:

https://www.youtube.com/watch?v=5oHF5haTee0

(٤) رابط قراءته على الشبكة العنكبوتية:

؛https://www.youtube.com/watch?v=uTGJQcGnpQ

(٥) رابط قراءته على الشبكة العنكبوتية:

httphttps://www.youtube.com/watch?v=-G3FZgppTVo

وهنا أمر مهمم ينبغي التَّنَبُّهُ له، وهو أن القولَ بوجود الشَّبَه بين الضاد والظاء ليس مقصودا لذاته، وإنما المقصود تحقيق مخرج الضاد وإعطاؤها صفاتها التي نصَّ عليها أهل الفنِّ، وهذان الأمران – تحقيق المخرج والصفات – ينتج عنهما تحقُّقُ الشَّبَه بين الحرفين.

وقد دعاني إلى هذا القول ما وجدته من بعض مَن أقرَّ بهذا التشابُه مِن حِرْصِه على تَقارُبِ جَرْسِ الحرفين دون تحقيق للمخرج الصحيح والصفة اللازمة للضاد، لدرجة أن بعضهم يخرجها من مخرج الظاء، وهذا لا يصح، ولا يُقبل عند أهل الأداء السليم؛ فليس المقصدُ تحقيقَ التشابُه، وإنما تحقيق المخرج والصفة، والتشابُه تابع لذلك، والله أعلم.

صوت الطاء

تخرج الطاء بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، يقول سيبويه: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء"(١)، ويقول ابن الجزري: "المخرج الثاني عشر – للطاء والدال والتاء – من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك، ويقال لهذه الثلاثة النِّطْعِيَّة؛ لأنها تخرج من نِطْع الغار الأعلى، وهو سقفه"(٢)، وزاد أبو الحسن النوري"، وفيه آثار كالتحزيز. والنِّطْع بكسر النون واسكان الطاء وفتحتها"(٣).

وصوت الطاء أقوى أصوات العربية؛ حيث تُقاس قوةُ الصوت وضَعْفُه بما يتصف به من صفات القوة أو صفات الضعف، يقول مكي: "فعلى قَدْر ما في الحرف من الصفات القوية كذلك قوَّتُه، وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضَعْفُه. فافهم هذا لتُعطِيَ كلَّ حرف في قراءتك حقَّه من القوة، ولِتَتَحفَّظَ ببيان الضعيف في قراءتك، فالجهر والشِّدَّة والصفير والإطباق والاستعلاء– من علامات القوة"(٤)، ويقول: "والشِّدَّةُ من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشِّدَّة جهرٌ وإطباق واستعلاء فذلك غايةُ القوة في الحرف؛ لأن كلَّ واحدة من هذه الصفات تدلُّ على القوة في الحرف، فإذا اجتمع اثنتان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة، كالطاء"(٥).

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣، وينظر : الجمهرة ١/٤٥، سر الصناعة ١/٢٢٩
(٢) النشر ١/٢٠٠، وينظر تهذيب اللغة ١/٤٠ ، التمهيد/٨٤، ١٠٦، تنبيه الغافلين/٣٤.
(٣) تنبيه الغافلين /٣٥.
(٤) الرعاية/١١٨.
(٥) الرعاية/١١٧، وينظر التمهيد /٨٧.

وإذا نظرنا إلى الطاء وجدناها تتصف بسبع صفات كلها صفات قوة، ولم يشاركها في جَمْعِ هذه الصفات غيرُها من الحروف، يقول مكي: "والطاء من أقوى الحروف؛ لأنه حرف مجهور شديد مُنْطَبِق مستعلٍ، وهذه الصفات كلها من علامات قوة الحرف مع انفرادها، فإذا اجتمعت في حرف كمُلت قوَّتُه"(١)، فهذه أربع صفات يضاف إليها الإصمات والتفخيم والقلقلة عند السكون، فتلك سبع كلها قوية .

وإذا نظرنا إلى نطق الطاء عند كثير من أهل الأداء وجدنا أمرين ينبغي التوقُّف عندهما، هما كما يلي:

الأمر الأول: وجوب التحفُّظ ببيان استعلائها وتفخيمها وإطباقها؛ ذلك أننا نجد بعض أهل الأداء يهملون هذا، مع أن أهل الفن أكَّدوا عليه، يقول ابن الجزري: "والطاء: أقوى الحروف تفخيما فلْتُوَفِّ حقَّها، ولا سيما إذا كانت مشددة نحو: ﴿ اطَّيَّرْنَا ﴾(٢)، و ﴿ أن يطَّوَّفَ ﴾(٣)، وإذا سكنت وأتى بعدها تاء وجب إدغامها إدغاما غير مستكمل، بل تبقى معه صفة الإطباق والاستعلاء؛ لقوة الطاء وضعف التاء"(٤)، ويؤكد أبو عمرو الداني على ذلك فيقول: "وهو حرفٌ مجهورٌ مستعلٍ مطبقٌ؛ فيلزم إنعام بيانه، وبَسْطُ اللسان به، كقوله: ﴿ يَلْتَقِطْهُ ﴾(٥) ... وكذا حكم سائر حروف الإطباق، ولولا الإطباق الذي في الطاء لصارت دالًا، ولولا الجهر الذي في الدال لصارت تاء"(٦)،فلولا الإطباق ومعه الاستعلاء

(١) الرعاية/١٩٨.
(٢) سورة النمل /٤٧.
(٣) سورة البقرة /١٥٨.
(٤) النشر ٢٢٠/١.
(٥) سورة يوسف /١٠.
(٦) التحديد /١٣٧.

والتفخيم لصارت الطاء دالا؛ فهما من مخرج واحد، ويشتركان في الجهر والشِّدَّة والإصمات والقلقلة عند الوقف .

والطاء أقوى حروف الإطباق، يقول ابن الجزري: "حروف الإطباق، وهي أربعة أحرف: الطاء والظاء والصاد والضاد... وبعضها أقوى من بعض، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها؛ لجهرها وشدتها"(١)، أما الظاء والضاد فمجهورتان غير أنهما رخوتان، وأما الصاد فمهموسة رخوة ؛ فتميَّزت الطاء من بين الأربعة بجمعها بين الإطباق والجهر والشِّدَّة.

الأمر الثاني: سبق بيان وصف العلماء لها بالجهر، ولم أجد مخالفا لذلك فيما وقفت عليه من كتب اللغويين القدماء وعلماء التجويد، يقول ابن جني: "اعلم أن الطاء حرف مجهور مستعل"(٢)، وقد سبق بيان ذلك في بعض النصوص السابقة، لكننا إذا نظرنا إلى نطقنا لها الآن، وإلى أداء القراء لها- وجدنا صفة الجهر تبدَّلت همسا، ولا نكاد نجد للطاء المجهورة وجودا إلا في بعض لهجات صعيد مصر، وفي نطق بعض السودانيين(٣)، وقد حدَّثني بعض زملائي- المتخصصين في النحو والصرف- أن أهالي مدينة(جُهَيْنة)(٤) وقُراها ينطقون الطاء مجهورة كما ذكر اللغويون وعلماء التجويد، وأنها شبيهة بالضاد المصرية.

---

(١) التمهيد /٩٠.

(٢) سر الصناعة ٢٢٩/١.

(٣) ينظر: علم الأصوات، د. كمال بشر /٢٥٢، المختصر في أصوات اللغة العربية، د. جبل /١٢١.

(٤) مدينة في صعيد مصر ، تابعة لمحافظة سوهاج ، وقد سُمِّيت بذلك نسبة إلى بني جهينة الذين نزلوا بها حين رحلوا من الجزيرة العربية إلى مصر. ينظر: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، عبد الله خورشيد البري /٢٣٩، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م. وموقع موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية ، رابط الحديث عن جهينة هو:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%87%D9%8A%D9%86%D8%A9_%28%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2%29

وهنا ملحظان ينبغي بيانهما لتأكيد صحة وَصْفها بالجهر:

الملحظ الأول: أن علماء اللغة والتجويد جعلوا الطاء والدال نظيرَين، ولم يجعلوا التاء نظير الطاء، يقول مكي: "الدال تخرج من مخرج الطاء المذكور، والدال حرف قوي؛ لأنه مجهور شديد، ولولا التسفُّل والانفتاح اللذان في الدال لكانت طاء، ولولا الإطباق والاستعلاء اللذان في الطاء لكانت دالا، فإنما فرَّق بينهما في السمع اختلافُ بعض الصفات لا غير"(١)، ويقول أبو عمرو: "ولولا الإطباق الذي في الطاء لصارت دالًا، ولولا الجهر الذي في الدال لصارت تاء"(٢)، فالطاء والدال مجهوران شديدان مصمتان مقلقلان، وتتميَّز الطاء بالإطباق والاستعلاء والتفخيم، وتتميَّز الدال بالانفتاح والاستفال والترقيق، وعلى هذا إجماع من علماء اللغة والتجويد في القديم، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "وقد أجمع الرواة في وصْفهم للطاء القديمة على أنها صوت مجهور؛ مما يحملنا على الاعتقاد أن الطاء القديمة تخالف التي ننطق بها الآن"(٣).

الملحظ الثاني: نُطْقُ المصريين وبعض المغاربة للضاد شبيهة بالطاء، وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن الضاد، يقول ابن الجزري: "ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها، بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب"(٤)، ويقول أبو الحسن النوري: "وليس هذا

(١) الرعاية /٢٠١.
(٢) التحديد /١٣٨.
(٣) الأصوات اللغوية /٥٣.
(٤) التمهيد / ١٤١.

مختصًّا بأهل مصر والغرب [العربي]، بل يفعله كثير من الناس ممن يدعي العلم ومعرفة التجويد"(١).

ويقول عليٌّ القاري: "وألسنة الناس فيه مختلفة، فمنهم من يُخرجه ظاء، ومنهم من يخرجه دالا مهملة أو معجمة، ومنهم من يخرجه طاء مهملة كالمصريين، ومنهم من يُشمُّه ذالا، ومنهم من يُشْرِبها بالظاء المعجمة"(٢)، ويُعلِّق المرعشي على قوله: "يخرجه طاء مهملة"فيقول: "لم يَقُل كالطاء المهملة إشارة إلى أن الضاد على ما نطقوا به يزول عن مخرجه إلى مخرج الطاء؛ فيكون أحرى أن يسمى طاء، والله أعلم"(٣)، وهذا ما جعل المرعشي يُؤَلِّف رسالته(كيفية أداء الضاد) حيث يقول: "وأما المقصد [من تأليفها] فهو أن ما شاع في أكثر الأقطار من تَلَفُّظ الضاد المعجمة كالطاء المهملة في السمع، بسبب إعطائها شِدَّةً وإطباقا كإطباق الطاء وتفخيما بالغا كتفخيمها – خطأٌ لوجوه"(٤).

ويقول الدكتور محمد حسن جبل– معلِّقا على كلام ابن الجزري السابق–: "فاستنتجنا نحن من كلام ابن الجزري أن نُطْقَ الضاد المصرية الذي يشيع على ألسنتنا الآن شبيهٌ جدا بنطق الطاء الفصحى"(٥). ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: "على أن وصف الطاء في كتب الأقدمين لا يُمكِّن الباحث المدقق من تحديد كل صفات هذا الصوت، ولا كيف كان يُنطق به على وجه الدقة، غير أنه من الممكن أن نستنتج من وصْفِهم أنها كانت صوتا يشبه الضاد التي نعرفها في زماننا"(٦).

---

(١) تنبيه الغافلين /٨٧.
(٢) المنح الفكرية / ١٧٧.
(٣) كيفية أداء الضاد للمرعشي / ٢٢.
(٤) كيفية أداء الضاد للمرعشي / ٢١.
(٥) المختصر في أصوات اللغة العربية، د. جبل /١٢١.
(٦) الأصوات اللغوية /٥٣.

هذه النصوص وغيرها تُثبت وجود شَبَهٍ بين الضاد المصرية والطاء، نصَّ عليه علماءُ التجويد منذ زمن ابن الجزري، لكننا إذا نظرنا إلى صدى الحرفين- الآن- وجدناهما متمايزين غايةَ التمايُز، بالرغم من اتفاقهما_ حسب نُطْقِ الضادِ الآن ووَصْفِ العلماء للطاء- في المخرج والجهر والشدة والإصمات والاستعلاء والتفخيم والإطباق، فكان ينبغي أن يكون جرسهما متقاربا جدا، وهذا غير متحقِّقٍ الآن.

وسبب ذلك أن الطاء التي ننطقها- الآن- فَقَدت صفة الجهر، وهي من أهم الصفات التي تُمايِز بين الأصوات المتقاربة، ولو حققنا للطاء هذه الصفة لسمعنا جرسا يكاد يكون مماثلا لجرس الضاد القاهرية، كما ينطقها أهل الصعيد في مصر وبعض السودانيين.

من ذلك يتأكَّد لنا إن نُطْقَ الطاء مهموسة- كما هي الآن- غير موافق لما نصَّ عليه أهل الفن من علماء اللغة والتجويد- قديما وحديثا- من أنها مجهورة. والعجيب أننا إذا ما سألنا أهل الأداء والقراءة الآن عن صفتها فإن أحدا منهم لا ينكر أنها مجهورة كما ذكر علماء التجويد، فأين الفِعلُ والأداءُ من قولهم وقول العلماء؟!

بقي الإشارة إلى تخطئة الدكتور تمام حسان للقراء في وصْفهم الطاء بالجهر، حيث قال: "أما صوت الطاء فأسناني لثوي شديد مهموس مفخَّم، كما يُنطَق به في الفصحى في مصر في أيامنا هذه ... أما الطاء التي وصفها لنا القراءُ القدماءُ فمجهورة على ما رأوا، وهذا يحتاج إلى قليل من المناقشة"(١)، ثم ذكر طريقةَ نُطْقها، وحكم بأنها صوت مهموز، أي صَحِبَه إقفال الأوتار الصوتية عند النطق

(١) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان /٩٤.

به؛ مما يمتنع معه حدوث الجهر، وعليه فهي صوت مهموس(١)، ثم عقَّب على ذلك بقوله: "ويَرْجح عندي أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء كانت في صوتها وفي نطقها بهذا الوصف، ثم لغرابة صوتها على السمع أخطأ النحاة والقراء فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلا مرققا لها"(٢).

وقد مر بنا عند الحديث عن القاف الردُّ على تخطئته للقراء والنحاة، معتمدا في ذلك على النطق الحالي ومحتكما إليه، وهذا أمر لا يقبله قانون التطور اللغوي، فله أن يصف الطاء الآن بالهمس أو الجهر كيفما شاء؛ فهو يصف ما سمع، وهم وصفوا ما سمعوا، أما أن يُحَكِّم النطقَ الآنِيَّ في تخطئة ما استقرَّ عليه أئمة الأمة من لغويين وقراء على مرِّ العصور- فهذا أمر يرفضه البحث العلمي في اللغة القابلة للتطور والتغيُّر مع الزمن، ولا يُعْقَل أن يكون الدكتور تمام فاته قانون التطور الصوتي، أو يكون منكرا له؛ فهو أمر فطري يعتري لغات البشر، وليست العربية فيه بِدْعا من اللغات.

وقد أنصف الدكتور إبراهيم أنيس حين قال: "وليس من المحتمل أن يكون القدماء قد خلطوا في وصفهم بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلَّق بهذا الصوت. فلعل صوت الطاء كما وصفها القدماء كان يُشبه الضادَ الحديثة، ولعل الضاد القديمة كانت تُشبه ما نسمعه الآن من العراقيين في نطقها(٣)، ثم تطور الصوتان فهُمست الأولى[الطاء] وأصبحت الطاءَ التي نعرفها الآن، كما اختلف مخرج الثانية[الضاد] وصِفَتُها فأصبحت تلك الضادَ الحديثة، أي ما كان يسمَّى بالطاء كان في الحقيقة ذلك الصوت الذي ننطق به الآن ونسميه (ضادا)، فلما هُمِست

(١) ينظر السابق.
(٢) ينظر السابق /٩٥.
(٣) يعني الضاد الشبيهة في جرسها بالظاء.

أصبحت الطاءَ الحديثة التي فيما يظهر لم تكن معروفة في النطق العربي القديم. أما الضاد القديمة العصِيَّة النطق فقد تطور مخرجها وصفتها حتى أصبحت على الصورة التي نعهدها الآن في مصر"(١).

ونخلص مما سبق أن الطاء التي وصفها لنا أئمة اللغة والتجويد مجهورة، لم يخالف في ذلك أحد، وهم أهل الرواية وعلماء الدراية.

أما أهل الأداء- الآن- ففرَّقوا بين العلم بالتجويد (الدراية) والعمل به (الرواية)، ففي العلم النظري يحكمون عليها بالجهر، وفي الأداء العملي ينطقون بها مهموسة، فما أعجب التفريق بين العلم والعمل !

(١) الأصوات اللغوية /٥٣.

صوتا الكاف والتاء

جمعت الكاف مع التاء هنا لأن الملحظ الذي أردت الوقوف معه متحقِّق فيهما معا، وأَخَّرت الكاف إلى التاء لأنه في التاء أشدُّ وضوحا من الكاف.

ومخرج الكاف يلي مخرج القاف مباشرة، من أقصى اللسان من جهة الفم ، يقول سيبويه: "ومن أسفلَ من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرجُ الكاف"(١).

وهي مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة، لم تأخذ من صفات القوة غير الشِّدَّة، أما الإصمات فليس له أثر حقيقي له في قوة أو ضعف ، وإنما القسمة العقلية للصفات الضدية اقتضت أن يوضع الإصمات في صفات القوة، والذلاقة في صفات الضعف.

أما التاء فتخرج مع الطاء والدال بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، يقول سيبويه: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء"(٢).

وهي مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة ، تتفق مع الكاف في جميع الصفات.

وإذا نظرنا إلى نُطْق التاء والكاف حال سكونهما- وصلا أو وقفا- وجدنا كثيرا من القراء (بل أكثرهم الآن) يضغط الحرفين- خاصة التاء- ضغطة قوية يخرج معها هواء زائد، فنسمع معهما صُوَيْتا شبيها بالسين، بل إن البعض يُتبعهما (سُيَيْنةً) واضحة.

وقد سألت كثيرا ممن ينطق الحرفين بهذه الصورة عن سبب ذلك ، ووجدت الإجابة تكاد تكون واحدة مكررة من الجميع ، وهي (هذا صوت الهمس؛ فالتاء والكاف مهموستان).

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) السابق، وينظر سر الصناعة ١/٦٠.

والعجيب أن هذا الأمر لا نكاد نجد له أثرا في القراءة قبل ثلاثين أو أربعين عام تقريبا، فحين نسمع قراءة مشائخنا الكبار(١) لا نجد أثرا لهذا الصوت الخارج مع الكاف والتاء.

وإذا نظرنا إلى حقيقة التاء- وقد جمعت ثلاثا من صفات الضعف- وَجَدْنا جرسها خفيضا خفيًّا، يُؤَكِّد ذلك قول الخليل: "لأن الدال لانَتْ عن صلابة الطاء وكزازتها، وارتفعت عن خُفُوت التاء فحَسُنتْ"(٢)، فوصَفَ التاء بالخفوت، واستعمالات تركيب (خفت) تدل على الإسرار والكتمان كما ذكر ابن فارس(٣)، ويقول الخليل: "صوت خَفِيتٌ، وخَفَتَ خُفُوتا، أي خَفَضَ خُفُوضا ... ومات خُفاتا، أي لم يُشْعَر بموته، وأَخْفَتَه اللهُ. والرجلُ تَخافَتَ بقَوْلَتِه، إذا لم يُبَيِّنْها برَفْعِ الصوتِ، وهم يَتَخافَتُون، إذا تَشَاوَرُوا سِرًّا"(٤)، فهذه الاستعمالات تدل على الخفاء وعدم الوضوح، ووَصْفُ التاءِ بالخفوت-كما ذكر الخليل ونقله الأزهري وابن جني- يدل على أن جرسها خفيض خفيٌّ.

ويبدو أن هذا جعل بعض القراء يبالغ في نطقها لتمكين ظهورها فنحا بها إلى جهة الثنايا، حيث مخرج السين، فالتبست بها، يقول ابن الجزري: "قال شريح في نهاية الإتقان: القراء قد يتفاضلون فيها- يعني التاء- فتلتبس في ألفاظهم بالسين لقُرْب مخرجها، فيُحْدِثون فيها رخاوة وصفيرا؛ وذلك أنهم لا يصعدون بها إلى جهة الحنك، إنما يَنْحون بها إلى جهة الثنايا، وهناك مخرج السين"(٥).

إن الانتحاء بالتاء جهة السين يُضَيِّع شِدَّتَها ، ويُحْدِث فيها رخاوة، وقد أكَّد ابن الجزري على ضرورة تحقيق شِدَّةِ الكاف والتاء، وحَذَّر من إضاعتها فقال:

---

(١) كالسادة الشيوخ: محمد صديق المنشاوي ومحمود خليل الحصري ومحمود علي البنا ومصطفى إسماعيل وعبد الباسط عبد الصمد، وغيرهم.

(٢) العين ٥٣/١، وينظر التهذيب ٣٨/١، سر الصناعة ٧٩/١.

(٣) ينظر المقاييس(خفت) .

(٤) العين(خفت) .

(٥) التمهيد /١٢٠.

"والكاف: فَلْيُعَن بما فيها من الشدة والهمس؛ لئلا يُذهَب بها إلى الكاف الصماء الثابتة في بعض لغات العجم، فإن ذلك الكاف غير جائزة في لغة العرب، ولْيُحْذَر من إجراء الصوت معها كما يفعله بعض النبط والأعاجم، ولا سيما إذا تكررت، أو شددت، أو جاورها حرف مهموس"(١)، وقال: "التاء: يُتَحَفَّظ بما فيها من الشدة؛ لئلا تصير رخوة كما ينطق بها بعض الناس، وربما جُعلت سينا، لا سيما إذا كانت ساكنة ... ولذا أدخلها سيبويه في جملة حروف القلقلة"(٢)، وقال- أيضا- : "وإذا سكَنت التاء وأتى بعدها حرف من حروف المعجم فاحذر إخفاءها، في نحو قوله: ﴿ فِتْنَة ﴾(٣). وقيل: لأن التاء فيه ضعف، وإذا سكن ضَعُف؛ فلا بد من إظهاره لشِدَّتِه"(٤)، ويقول في مقدمته(٥):

وراعِ شِدَّةً بكاف وبتا ... كـ (شِرْكِكُم) و (تَتَوَفَّى) (فِتْنَةَ)

ويعلِّق ملا علي القاري على كلام الشيخ فيقول: "فأمر بمراعاة الشِّدَّة في الكاف والتاء، نحو: ﴿ نَكْتَلْ ﴾ (٦) و ﴿ يَتْلُو ﴾(٧) خصوصا عند ورود تكرارها، نحو قوله- تعالى-: ﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ و﴿ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾(٨)

(١) النشر ٢٢١/١.

(٢) النشر ٢١٧/١. وأدخل المبرد الكاف –أيضا– في حروف القلقلة. ينظر: المقتضب ٣٣٢/١، وينظر أيضا: النشر ٢٠٣/١.

وقد علَّق ابن الجزري في التمهيد على ذلك بقوله: "وقيل: إنها [التاء] من حروف القلقلة. وهذا في غاية ما يكون من البُعْد؛ لأن كل حروف القلقلة مجهورة شديدة، ولو لزِم ذلك في التاء لَلَزِم في الكاف"

(٣) البقرة /١٠٢.

(٤) التمهيد /١٢٠.

(٥) المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، لابن الجزري، تح. د. أيمن سويد /٥، ط. دار نور المكتبات– جدة، الرابعة،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٦) يوسف /٦٣.

(٧) البقرة /١٢٩.

(٨) النحل /٢٨.

و ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً ﴾(١)، وذلك لأن الشِّدَّة تمنع الصوت أن يجري معهما مع ثباتهما في موضعهما قوِيَّيْن، فاحذر أن تُتْبِعَهما ركاكة"(٢)، فيؤكد على تحقيق صفة الشِّدَّة، مع وجوب ثبات الحرفين في موضعهما ، فلا ينحو اللسان بهما عن مخرجهما الدقيق.

وأرجح أن المقصود بهذه الركاكة التي ذكرها القاري هو ما يُسمع من البعض من إتباعهما صُوَيْتا شبيها بالسين، وهو ما نص عليه الفضالي البصير صراحة عند شرحه للبيت، فقال عن التاء: "فتُراعى الشِّدَّةُ لئلا تصير رخوة كما ينطق بها بعض الناس، وربما جُعِلت سينًا إذا كانت ساكنة"(٣).

وقد قطع أبو الحسن النوري الصفاقسي القول في هذه القضية؛ فحكم حُكما قاسيا في عباراته، دقيقا في ألفاظه، لا يُحتمَل معه أي وجْه لقبول النطق المذكور، فقال: "ويقع الخطأ فيها [التاء] من أَوْجُهٍ: ... ومنها إبدالها سينا أو كالسين فيحدث فيها رخاوة وصفير، وقد كثُر هذا على الألسنة، وأحرى إن كانت ساكنة، نحو: فِتْنَةٌ وَاتْلُ ، حتى إن بعض من كثُر جهلُه، وضَعُف عقلُه يستحسنه، ويجعله من الفصاحة ورقة الطبع، وهو لَحْنٌ، لا تحلُّ القراءة به، فاحذره وحذِّر منه"(٤)، فجعل القراءة على هذا الوجه خطأ ولحنا لا يحِلّ، وحكم على صاحبه بما قرأتَ.

وهذا الحكم بالخطأ ذكره حفني بك ناصف، رادًّا إياه إلى نُطْقِ المغاربة، معلِّلا له بقوله: "وهي[التاء] أيضا مهموسة ، يجري معها النفَس قليلا، فمن الغلط قَطْعُ

(١) الأنفال /٢٥.
(٢) المنح الفكرية /١٦٧.
(٣) الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، لسيف الدين الفضالي البصير، تح. عزة بنت هاشم معيني /٢١٧، ط. مكتبة الرشد ، الأولى ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م .
(٤) تنبيه الغافلين/٥١.

النفَس فيها بالمرة، كما أنه من الغلط المبالغة في إخراج النفس معها في لسان المغاربة حتى كان [النَّفَسُ] بعدها سينا، فإذا قالوا: (رَمَتْ) ، تسمعها كأنها (رَمَتْسْ)"(١) .

ولا بد من الوقوف هنا مع كلام للشيخ محمد مكي نصر، ففيه تحقيق للمسألة، وبفَهْمِه ينقضي الإشكال، ويزول الالتباس، وربما كان عَدَمُ فَهْمِه سببا في إيجاد المشكلة من الأساس، يقول الشيخ عن الكاف: "فإذا نطقت بها فَوَفِّها حقها، واعتنِ بما فيها من الشِّدَّة والهمس لئلا يُذْهَب بها إلى الكاف الصماء الثابتة في بعض لغات العجم، وهي غير جائزة في لغة العرب ... ولا بد من ظهور همسها إذا سكنت، نحو: ﴿ يكْسبون ﴾(٢) و ﴿ يَكْتمون ﴾(٣) و ﴿ أَكْبر ﴾(٤) ، وقد يتساهل في هذا كثير من الناس فيتركون الهمس"(٥)، وقال عن التاء: "وإذا سكنت وأتى بعدها حرف من حروف المعجم فاحذر إخفاءها، نحو قوله: ﴿ فِتْنَة ﴾(٦)؛ لأن التاء حرف فيه ضعف، فإذا سكن ازداد ضعفا؛ فلا بد من إظهاره لشدَته. وتجب المحافظة على همسه، خصوصا عند الوقف عليه ... لئلا يصير دالا مهملة"(٧).

إن الناظر إلى هذا الكلام يجد الشيخ يؤكد على همس الحرفين ، لكن التعبير جاء بصورة قد تلتبس على البعض، خاصة في قوله: "ولا بد من ظهور همسها"،

(١) حياة اللغة العربية ،حفني بك ناصف/٣١، ط.مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
(٢) البقرة /٧٩. وكتبت في نص الكتاب: (لا يكسبون) ، وليس في القرآن (يكسبون) مسبوقة بـ (لا) .
(٣) البقرة /١٥٩.
(٤) البقرة /٢١٧.
(٥) نهاية القول المفيد في علم التجويد /١٠٢.
(٦) البقرة /١٠٢.
(٧) نهاية القول المفيد في علم التجويد /١١٦.

وقوله: "وتجب المحافظة على همسه"، فهاتان العبارتان قد يُفهَم منهما أن للهمس صوتا يُسمع، وأنه يجب أن يُظْهَر في النطق، يُرَجِّح هذا الفهم ما سبق ذِكْرُه- في أول الحديث عن التاء والكاف- من أن الذين ينطقون الحرفين بالكيفية المذكورة يُعَلِّلون ذلك بقولهم: (هذا صوت الهمس؛ فالتاء والكاف مهموستان).

وهنا أمور ينبغي بيانُها:

أولا: أن الهمس في حقيقته اللغوية يُنافي فِعْلَهم؛ فهو يدل على الخفاء وعدم الظهور، يقول ابن فارس: "الهاء والميم والسين يدل على خفاء صَوْتٍ وحِسٍّ. منه الهمس: الصوت الخفيُّ. وهَمْسُ الأقدام: أَخْفَى ما يكون من وَطْءِ القَدَم"(١)، ويقول الراغب: "الْهَمْسُ: الصوت الخفيّ، وهَمْسُ الأقدام: أخفى ما يكون من صوتها. قال – تعالى-: ﴿ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾(٢)"(٣)، فهذه المعاني تدور على الخفاء وعدم الظهور، فكيف بهم يريدون للهمس صوتا ظاهرا ؟!

ثانيا: أن الهمس والجهر مرتبطان باهتزاز الوترين الصوتيين أو عدم اهتزازهما عند خروج هواء الحرف، فإذا اهتزَّا كان الصوت مجهورا، وجرسه ظاهرا زامرا، وصداه قويا مسموعا.

وإذا لم يهتزَّ الوتران كان الصوت مهموسا، وجرسه خفيًّا غير زامر، وصداه ضعيفا غير مسموع.

والكاف والتاء مهموسان، ليس فيهما من صفات القوة غير الشِّدَّة؛ لذا كانا ضعيفين خَفيَّين، ولولا ما فيهما من الشِّدَّة لكانا من أخفي الحروف وأضعفها.

---

(١) المقاييس (همس) .
(٢) طه /١٠٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني(همس) ، ط. مكتبة نزار مصطفى الباز.

ثالثا: أن المقصود بإظهار الهمس- في كلام الشيخ محمد مكي نصر- ليس كما فَهِمَه البعض فأَتْبَعَ الحرفين صُوَيْتا زائدا عليهما، وإنما المقصود وجوبُ المحافظة على صفة الهمس حتى لا تتبدَّل جهرا؛ فتتحول الكافُ إلى الكاف الصماء الأعجمية، وتتحول التاءُ إلى دال، فالفرق بين الكاف العربية والكاف الصماء الأعجمية هَمْسُ الأولى وجَهْرُ الأخيرة، والفرق بين التاء والدال همسُ الأولى وجَهْرُ الأخيرة، فلو هُمِسَت الدال تحوَّلت تاء، ولو جُهِرَت التاء تحوَّلت دالا، وهذا نصَّ عليه الشيخ وغيره فقال: "وتجب المحافظة على همسه، خصوصا عند الوقف عليه ... لئلا يصير دالا مهملة"(١).

رابعا: أن الجهر والهمس من الصفات اللازمة الثابتة للحرف من (جهر أو همس، وشدة أو رخاوة، واستعلاء أو استفال، وإطباق أو انفتاح، وإصمات أو ذلاقة)، فكل حرف من حروف العربية وجب له واحدة من كل صفتين متضادتين من المجموعات الخمس الماضية، فثبت له خمس صفات أساسية لازمة، لا بد من اتصاف كل حرف بها، لا يتغيَّر الحكم في ذلك وصلا أو وقفا، ابتداء أو وسطا أو انتهاء، في حال الحركة أو السكون.

وإذا كان الأمر كذلك- فلِمَ خُصَّ ما يُسمَّى بهمس التاء والكاف بحال السكون دون الحركة ؟! مع أن الهمس من الصفات اللازمة للحرف على كل حال.

خامسا: أن حروف الهمس عشرة، مجموعة في عبارة(سكت فحثه شخص)، فَلِمَ خُصَّت الكاف والتاء من بين العشرة بهذا الصُّوَيْت التابع لهما؟

(١) نهاية القول المفيد في علم التجويد /١١٦، وينظر التحديد/١٣٧.

إن كل هذه الأمور ينبغي أن تستوقف القارئ الكريم مع حقيقة هذين الحرفين وما يتبعُهما من صُوّيت السين الذي يسمونه (صوت الهمس)، ليسأل عن سبب هذه السُّيَيْنة؛ ولِمَ خُصَّ الحرفان بهما دون أخواتهما من حروف الهمس؟

ويرجح عندي أن لهذا الصُّوَيت أسبابا أدت إليه، تكمن فيما يلي:

١- ما سبق من كلام ابن الجزري من التأكيد على مراعاة تحقيق صفة الشِّدَّة في الكاف والتاء، جعل البعض يبالغ في تأكيدها، فنتج عنه هذا الصُّوَيت، وهو ما حذَّر منه علي القاري بقوله السابق: "فاحذر أن تُتْبِعَهما ركاكة"(١).

٢- أن طبيعة نُطق الحرفين جعلت البعض يفهم أن فيهما ما يسمونه بالهمس؛ ذلك أن تحقيق صفة الشدة فيهما تستلزم انحباس هوائهما في مخرجيهما انحباسا تاما يعقبه انفجار شديد لهذا الهواء، وهذا متحقق في جميع الأصوات الشديدة (الانفجارية)، يقول الدكتور كمال بشر : "تتكوَّن الوقفات الانفجارية- بقطع النظر عن اللغة المعيَّنة- بأن يُحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تامًّا في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يُضغط الهواء ثم يُطْلَق سراحُ المجرى الهوائي فجأة ؛ فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا"(٢). مع هذا الانفجار المسبوق بضغط الهواء قد نشعر بشيء من النفخ كما يقول الدكتور تمام حسان: "وتصحبه [الكاف] نفخة خفيفة إذا وليه صوت من أصوات الكسرة، كما في كلمة (تأكيد) (٣)، ويقول: "وكثيرًا ما يعقب نطق التاء نفخة بسيطة ... وعلى الأخص إذا وليها صوت من أصوات الكسرة، كما في

(١) المنح الفكرية /١٦٧.
(٢) علم الأصوات /٢٤٧.
(٣) مناهج البحث في اللغة /٩٦.

(تِين) و(عتِيق)"(١)،ثم يُعقِّب على إتباعها بصُويت السين بقوله: "وأقل من ذلك ما يلاحظ أن احتكاكا يتبعها في بعض اللهجات الحديثة، فيجعلها تبدو صوتا مركبا من شدة تتبعها رخاوة، ويكون أشبه في ذلك الوقت بنطق (تس) أو (ts)، لا (ت)، ونسمع بعض نساء القاهرة من أوساط معينة، ينطقن (أُخْتِسي) بدل (أختي)"(٢).

وقد نصَّ الدكتور كما بشر على خطأ هذا النطق، ونسبه إلى شوابِّ النساء فقال: "يلاحظ أنها قد تُصحَب بنوع من الاحتكاك ... إذا وليها كسرة، كما في نحو (أختي)، ويظهر ذلك بخاصة في نطق الشَّوابِّ من النساء وأضرابهن، وهو نُطقٌ خطأ؛ إذا قد تصير صوتا مركبا (H)، أو ما يشبه أن يكون كذلك"(٣) ، فكأنه تدلُّلٌ منهن ومَيْعًا في القول.

٣- أن لهذا الصُّويت وقعا لذيذا غلى الأسماع؛ مما جعل البعض يستحسنه- كما سبق في قول أبي الحسن النوري: "حتى إن بعض من كثُر جهلُه، وضَعُف عقلُه يستحسنه، ويجعله من الفصاحة ورقة الطبع، وهو لَحْنٌ، لا تحلُّ القراءة به، فاحذره وحذِّر منه"(٤).

٤- أهم هذه الأسباب أن سكون حروف الشدة-وصلا أو وقفا- يُحدث فيها شيئا من الثقل على جهاز النطق، وحروف الشدة المجموعة في عبارة (أجدك قطبت)، اجتمع فيها- عدا التاء والكاف- الجهرُ مع الشدة؛ مما زادها ثقلا.

---

(١) السابق /٩٥.
(٢) السابق /٩٥.
(٣) علم الصوات /٢٤٩.
(٤) تنبيه الغافلين/٥١.

للهمزة منها وضع خاص، حيث تصرَّفت العرب فيها بالإبدال أو الحذف أو التسهيل(إضافة إلى التحقيق)، والخمسة المجموعة في عبارة (قطب جد) تُخلِّص من ثقل سكونها بالقلقلة، بقي عندنا من حروف الشدة التاء والكاف فأبقتها العرب على حالها في النطق؛ حيث خَفَّف همسُها من ثقل نطقها، لكن بعضهم حاول أن يزيد من خفتها عند السكون فأتبع شِدَّتها شيئا من الرخاوة، فأتى بما يشبه السين، ثم بحث له عن علة تسوِّغه فسماه همسا، والهمس من كل ذلك براء.

من جميع ما سبق يتبيَّن لنا أن الصُّوَيْت (السُّيَيْنة) الذي يُتْبِعه بعضهم التاء والكاف عند السكون- لا أصل له ، بل قد نبَّه علماؤنا من أهل الفن – قديما وحديثا- على خطئه، وعدم صحة القراءة به، وبيَّنوا وجه الصواب فيه.

صوت الغُنَّة

الغُنَّةُ في اللغة- كما يقول الخليل-: " صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشيم، يغُور من نحو الأنف بعونٍ من نفَسِ الأنفِ"(١) ، ويقول المبرد: "والغُنَّةُ أَن يُشْرَبَ الحرفُ صَوتَ الخَيْشومِ"(٢) .

وفي اصطلاح أهل القراءة هي "صوت لذيذ مركَّب في جسم النون والميم، لا عمل للسان فيه"(٣).

وهي صفة لازمة للنون والميم، لا تنفك عنهما، وصلا ووقفا، حركة وسكونا، إدغاما وفكًّا، وليست هذه محلَّ الحديث هنا، إنما الحديث عن الغنة الناتجة عن تضعيف الميم والنون أو تَرَكُّبهما - ولو تنوينا-(٤) مع غيرهما من الحروف؛ وما يترتَّب على هذا من إظهار أو قَلْبٍ أو إدغام أو إخفاء بنوعيه (الحقيقي مع النون والتنوين، والشفوي مع الميم).

ونلاحظ أن كثيرا من أهل الأداء يختلف حال الواحد منهم مع هذه الغنة، تفخيما أو ترقيقا، إطالة أو قَصْرًا، وبعضهم يطيل مدها حتى تكاد تتساوى مع المدِّ اللازم، وقد حذَّر ابن الجزري من مثل هذا فقال: "واحذر إذا أتيت بالغنة أن تمدَّ عليها؛ فذلك قبيح"(٥).

---

(١) العين (غنن) .
(٢) الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ١٦٤/٢، ط. دار الفكر العربي – القاهرة، الثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، التهذيب (غنن) ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري، تح. مسعد عبد الحميد السعدني /٧٦، ط. دار الطلائع.
(٣) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر /٦٩، ط. دار ابن الجوزي بالقاهرة، الثالثة.
(٤) معلوم أن التنوين عبارة عن نون ساكنة تلحق آخر الأسماء المعرَبة ، تثبت وصلا لا وقفا، نُطْقًا لا كتابة.
(٥) التمهيد /١٧١.

ولنستمع إليه – عند حديثه عن مراتب القراءة- حيث يقول: "فالتحقيق يكون لرياضة الألسن، وتقويم الألفاظ، وإقامة القراءة بغاية الترتيل، وهو الذي يُستحسَن ويُستحَب الأخذُ به على المتعلمين، من غير أن يُتجاوَز فيه إلى حد الإفراط: من تحريك السواكن، وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات، كما روينا عن حمزة الذي هو إمام المحققين أنه قال: لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما كان فوق الجُعُودة فهو قَطَطٌ، وما كان فوق البياض فهو بَرَصٌ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة"(١)، ثم بيَّن أن الحَدْرَ " يكون لتكثير الحسنات في القراءة، وحَوْزِ فضيلة التلاوة، ولْيُحترَز فيه عن بَتْرِ حروف المد، وذهابِ صوتِ الغُنَّة، واختلاس أكثر الحركات، وعن التفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة"(٢)، فتطنينُ النونات بالمبالغة في الغنات، وإضاعةُ صوت الغنة- كل ذلك خطأ ومخالفة، وخروج عن حدِّ القراءة الصحيحة المقبولة؛ مما جعل الشيخ عبد الفتاح المرصفي يضع مثل هذا تحت النوع الثاني من اللحن الخفي الذي " لا يعرفه إلا مهرة القراء وحُذَّاقُهم، ومثاله: تكرير الراءات، وتطنين النونات، وتغليظ اللامات في غير محلِّه وترقيقها كذلك، وترعيد الصوت بالمد وبالغنة، وكذلك تَرْكُ الغنة أو الزيادة على مقدارها أو النقص عنه، وكذلك الزيادة في مقدار المد أو النقص عنه، إلى غير ذلك مما يُخِلُّ باللفظ، ويذهب برونقه، وحُسْن طلاوته"(٣).

(١) النشر ١/٢٠٥.
(٢) النشر ١/٢٠٧.
(٣) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، الشيخ عبد الفتاح المرصفي ١/٥٤.

أما مقدار الغنة الصحيح فحركتان- كما قرَّر أهل الفن-، يقول الشيخ المرصفي: " أما مقدارها فحركتان كالمد الطبيعي، أي غنة كاملة"(١)، والحركة تُقدَّر- كما هو معروف عند رجال التجويد- بقبض الأصبع أو بسطها.

وينبغي أن تكون حركة قبض الأصبع أو بسطها متوافقة – سرعة أو بطئا- مع مرتبة التلاوة التي يُقرَأ بها (تحقيقا أو ترتيلا أو تدويرا أو حدرا)، فلا يصحُّ أن يكون القارئ حادرا وتكون حركة الأصبع بطيئة متناسبة مع التحقيق أو الترتيل ، وكذلك العكس.

يقول الشيخ المرصفي: " أما مقدار مدِّه [أي المد الطبيعي] ... فهو مدُّ الصوت بقدر حركتين اثنتين فقط لكل القراء بالإجماع ... ويحرم شرعا النقصُ عن هذا القدر أو الزيادة عليه، وتُعرَف الحركة بمقدار حركة الأصبع قبضا أو بسطا بحالة معتدلة، لا بالسريعة ولا بالبطيئة، ولا يَضبِط هذا إلا المشافهةُ والإدمانُ على القراءة والسماعُ من أفواه الشيوخ المحققين"(٢).

فمقدار الغنة كمقدار الألف في المدِّ الطبيعي، وكما لا يجوز زيادة الألف عن حركتين ولا نقصها– لا يجوز زيادة الغنة عن حركتين أو نقصها.

بقي عندنا حكم الغنة من حيث التفخيم والترقيق؛ حيث نسمع- من بعض القراء- خلطا في ذلك وعدم انضباط، فتارة يفخِّم وأخرى يُرقِّق دون ضابط، وأهل الفن قد وضعوا لنا ضابطها ، يقول الشيخ عطية قابل نصر:" وهي تابعة لما بعدها

(١) السابق ١/١٨٠، وينظر غاية المريد في علم التجويد /٧٠.
(٢) السابق ١/٢٧٤.

تفخيما وترقيقا، فإن كان ما بعدها حرفَ استعلاء فُخِّمت، مثل: ﴿يَنْطِقُونَ﴾(١)، وإن كان ما بعدها حرفَ استفال رُقِّقت، مثل: ﴿ما نَنْسَخْ﴾(٢) "(٣).

ويقول الشيخ المرصفي: " ومن تمام كيفية أدائها اتِّباعها لما بعدها من الحروف تفخيما وترقيقا، على العكس من ألف المدِّ التي تتبع ما قبلها في ذلك"(٤)، وهذا ما أشار إليه الشيخ إبراهيم السمنودي بقوله(٥):

..............وتَتْبَــعُ الألِــفْ　　مـا قبلـها ،والعكسُ في الغَنِّ أُلِفْ

فعلى القارئ أن يلتزم بما وضعه أهل الفن من ضابط الغنة من حيث مقدار مدِّها ، وتفخيمها أو ترقيقها، ليس له أن يتجاوز ذلك، " فإنها تُؤدَّى غنة سلسة في نطقها وإخراجها، من غير تمطيط ولا لَوْكٍ، ومن غير زيادة ولا نَقْص عن مقدارها المحدَّد لها "(٦).

(١) الأنبياء /٦٣.
(٢) البقرة /١٠٦.
(٣) غاية المريد في علم التجويد /٧٠.
(٤) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ١/١٨١.
(٥) رياضة اللسان شرح تلخيص لآلئ البيان في تجويد القرآن للعلامة السمنودي، تأليف سعيد يوسف السمنودي /٤٦، ط. مكتبة السنة– القاهرة، الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣.
(٦) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ١/١٨١.

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

ما أذكره هنا ليس نتائج اكتشفها البحثُ، أو مبتكراتٍ لم يُسبَق إليها الباحث، إنما هي أمور أظهرها البحث وأخرجها من مكامنها، ورفع اللثام عن وجهها، ؛ لتجلو لقارئ القرآن بيِّنةً واضحة؛ فيقيس قراءته على مقرَّرات أهل التجويد والأداء، وأذكر منها ما يلي:

١- الاحتكام- عند الاختلاف في القراءة- يكون للضوابط التي وضعها أهل الفن موازينَ يُحتَكَم إليها، ويوزَن بها الأداء الصحيح، ويُماز من غيره.

٢- لا تصح القراءة ولا تُقبل إذا اعتمدت على التلقي والسماع دون خَتْمِها بخاتم العلم والدراية، والمعرفة بوجوه اللغة والإعراب والقراءة.

٣- اهتمام بعض القراء بتحسين الصوت وتجبيره، وتنغيم القراءة، وإمتاع المستمعين- جعل ذلك يطغى على صحة أدائهم، وأوقعهم في مخالفات تردُّ القراءة وتبطلها.

٤- ضياع صوت الهاء، وخروجه كأنه حركة بسبب خفائه وضعفه، مع أن أئمة القراءة أكَّدوا على وجوب التحفُّظ ببيانه.

٥- يجب المحافظة على بيان نصاعة العين وقوتها، مع عدم جواز المبالغة هذا البيان؛ لأنه مجاوزة لحدِّ الصوت، وإسراف في نطقه وتعسُّف؛ مما يُخرجه عن حدِّ القراءة الصحيحة.

٦- اتفقت كلمة اللغويين والقراء على أن القاف صوت مجهور؛ مما يجعل نُطْقَه مهموسا في قراءة القرآن غيرَ موافق لما قرَّره علماء التجويد وأكَّدوا عليه.

٧- إجماع أئمة التجويد واللغة على تفخيم القاف- وإن كان للتفخيم حالات دون حالات-، وحكمُهم على من رقَّقها باللحن، والنكوب عن طريق العرض المتصل.

٨- أوجب أئمة التجويد التحفُّظَ ببيان الجيم، وتخليصَها من شائبة الشين، وبيَّنوا أن اشتباهها بالشين خطأ لا تجوز القراءة به.

٩- خَطَأُ أكثر القراء في نُطْق الضاد شديدةً مجافيةً لمخرجها الصحيح، وهو ما نبَّه عليه أهل التجويد والقراءة واللغة.

١٠- ثبات الشَّبَهِ بين الضاد والظاء في جرسهما ووَقْعِهما في السمع، وتنبيهُ أئمة التجويد والقراءة- القدماء والمحدثين- على ذلك.

١١- عدم الاقتصار في إثبات الشَّبَه بين الضاد والظاء على ما هو مُدوَّن في كتب اللغة والتجويد والقراءة، بل الاعتماد في ذلك على التلقي والسماع أيضا؛ حيث أكَّد عدد من القراء- الآن- أنهم تلقَّوها من شيوخهم شبيهة الظاء.

١٢- وَصَفَ علماء التجويد الطاءَ العربية الصحيحة بأنها مجهورة؛ مما يجعل نُطْقَها مهموسة- كما يفعل القراء الآن- مخالفا لما قرَّره أهل الفن.

١٣- حَكَم أهل التجويد والقراءة على إلحاق الكاف والتاء صُوّيْتا شبيها بالسين، مسمِّين إياه همسا- بأنه لحن وخطأ، لا تصح القراءة به.

١٤- على القارئ أن يلتزم بما وضعه أهل الفن ضابطا للغُنَّة من حيث مقدار مدِّها، فلا يزيد فيه- طلبا للتنغيم- ولا ينقص، مُلتزِمًا في ذلك إتْباعها لما بعدها من الحروف تفخيما وترقيقا.

ثانيا: التوصيات

١- على أهل القراءة أن يفتحوا قلوبهم وعقولهم للبحث العلمي القائم على الدليل الدامغ، ويعرضوا ما فيه على مقرَّرات أهل الفن، لا أن يصدوا ويرفضوا دون تروٍّ وتُؤَدة.

٢- على الجهات المسئولة عن مراجعة قراءة القرآن الكريم وضبط أداء القراء- مثل لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، مشيخة المقارئ المصرية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، معاهد القراءات، مدارس تحفيظ القرآن، وغيرها- أن تراجِع القراءة على مقرَّرات أهل الدراية والرواية معا؛ لتصحيح ما يطرأ من خطأ أولَ ظهوره، حتى لا يشيع ويستفحل كما هو الحال في الضاد والطاء.

٣- على القنوات التلفزيونية والإذاعات المختصة بالقرآن الكريم أن تُراجع أي قراءة مراجعةً دقيقةً قبل إذاعتها وبثِّها، ولا تعتمد في ذلك على شهرة القارئ أو مكانته أو حُسْنِ صوته.

هذا والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وأختم بما به بدأت، قول ربنا الكريم:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾.

جريدة المصادر

١-إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة، تح. إبراهيم عطوة عوض، ط. دار الكتب العلمية.
٢-الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٣-أحكام قراءة القرآن الكريم للشيخ محمود خليل الحصري، ضبط وتعليق محمد طلحة بلال منيار، ط. المكتبة المكية، دار البشائر الإسلامية.
٤-أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب، ط. الثانية مطبعة الكيلاني ١٩٦٨م.
٥-أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال، ط. مكتبة وهبة، الثالثة ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م. أصوات اللغة العربية ، د. فتحي الدابولي، ط. مطبعة الشروق ١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م.
٦-أصوات اللغة العربية، د. محمد حسن جبل، ط. الثالثة.
٧-الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ط. مكتبة نهضة مصر ومطبعتها .
٨-الأصول في النحو لابن السراج ، تح. عبد الحسين الفتلي ، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت .
٩-إعجاز القرآن للباقلاني ، تح. السيد أحمد صقر، ط. دار المعارف — مصر، الخامسة، ١٩٩٧م
١٠- الإنباء في أصول الأداء، أبو الأصبع السُّماتي، المعروف بابن الطحَّان، تح. د. حاتم الضامن ، ط. مكتبة الصحابة — الإمارات، ومكتبة التابعين — القاهرة، الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م. والكتاب مشهور باسم (الإنباء في تجويد القرآن)،
١١- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ،تح. د. موسى بناي العليلي، ط. وزارة الأوقاف والشئون الدينية العراقية- إحياء التراث الإسلامي.
١٢- البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر، ط. عالم الكتب، الثامنة، ٢٠٠٣م.
١٣- بغية المرتاد لتصحيح الضاد للمقدسي ، تح. د. محمد جبار المعيبد، ، مجلة المورد العراقية، مجلد ١٨ — عدد ٢، عام ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م.

١٤- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، تح. د. غانم قدوري الحمد ، ط. دار عمار – عَمَّان ، الأولى ٢٠٠٠م /١٤٢١هـ .
١٥- تحقيقات في التلقي والأداء، د. محمد حسن جبل ، ط. الرابعة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٦- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، إخراج: د. رمضان عبد التواب، ط. الخانجي بالقاهرة، الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٧- تفسير القرطبي، تح. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط. دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .
١٨- التلقي والأداء في القراءات القرآنية، ط. مكتبة الآداب، الثانية ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
١٩- التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري ، تح. د. غانم قدوري حمد ، ط. مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢١ هـ /٢٠٠١ م .
٢٠- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من اللحن حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، لأبي الحسن النوري الصفاقسي، تح. محمد الشاذلي النيفر ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
٢١- تهذيب اللغة، للأزهري، تح. الشيخ عبد السلام هارون وآخرين، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٢- جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، تح. د. مروان العطيَّة- د. محسن خرابة، ط. دار المأمون للتراث- دمشق ، بيروت، الأولى١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م .
٢٣- جمهرة اللغة، لابن دريد، تح. د. رمزي منير بعلبكي، ط. دار العلم للملايين، الأولى ١٩٨٧م.
٢٤- جهد المقل، المرعشي، تح. د. سالم قدوري الحمد ، ط. دار عمار – الأردن- ، الأولى ١٤٢٩ هـ /٢٠٠٨ م .
٢٥- الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، لسيف الدين الفضالي البصير، تح. عزة بنت هاشم معيني ، ط. مكتبة الرشد ، الأولى ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥م.
٢٦- الحجة الوضَّاء في إثبات الشبه بين الضاد والظاء، محمود عبد الرحمن اليحيى ، ط. الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م، توزيع: دار الاستقامة بالقاهرة، ودار طيبة الخضراء بالسعودية.

٢٧- حياة اللغة العربية،حفني بك ناصف،ط.مكتبة الثقافة الدينية،الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٨- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحَمَد، ط. دار عمار- الأردن، الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢٩- دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر ، ط. دار المعارف ، التاسعة، ١٩٨٦م.
٣٠- الدقائق المحكمة، زكريا الأنصاري، بهامش متن الجزرية ، ط. المطبعة السعيدية – مصر .
٣١- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، لمكي بن أبي طالب ، تح. د. أحمد حسن فرحات ، ط. دار عمار – الأردن ، الثالثة ، ١٤١٧ هـ /١٩٩٦ م .
٣٢- رياضة اللسان شرح تلخيص لآلئ البيان في تجويد القرآن للعلامة السمنودي، تأليف سعيد يوسف السمنودي ،ط. مكتبة السنة- القاهرة، الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣.
٣٣- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري، تح. مسعد عبد الحميد السعدني ، ط. دار الطلائع.
٣٤- سر صناعة الإعراب، لابن جني ، تح. د. حسن هنداوي ، ط. دار القلم – دمشق ، الثانية ١٤١٣ هـ /١٩٩٣ م .
٣٥- شرح الجزرية، ابن يالوشه، ضبط وتعليق د. جمال فاروق الدقاق، ط. مكتبة الآداب.
٣٦- شرح الجعبري على متن الشاطبية، المسَمَّى (كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني) للجعبري ، تح. فرغلي سيد عرباوي ، ط. مكتبة أولاد الشيخ للتراث .
٣٧- شرح الشافية للجاربردي ، ضمن: مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، ط. عالم الكتب – بيروت، الثالثة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٣٨- شرح شافية ابن الحاجب، للرضي، تح. محمد نور الحسن، وآخرين ط. دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م.

٣٩- شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنويري ، تح. د. مجدي محمد سرور سعد باسلوم ، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م .
٤٠- شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، تح. أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ٢٠٠٨ م /١٤٢٩ هـ .
٤١- شعب الإيمان، للبيهقي، تح. د. عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، ط. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
٤٢- صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. دار طوق النجاة ، الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٣- الظاء، أبو الحجاج يوسف المقدسي ، تح. د. حاتم الضامن، ط. دار البشائر – دمشق، الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م.
٤٤- العقد الفريد في فن التجويد، الشيخ أحمد علي صبرة، تح. د. شعبان محمد إسماعيل، ط. المكتبة الأزهرية للتراث.
٤٥- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب د٠ عبد الصبور شاهين، ط. مكتبة الشباب، ١٩٩١م.
٤٦- علم الأصوات، د. كمال بشر، ط. دار غريب.
٤٧- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، ط. دار الفكر العربي – القاهرة ، الثانية ١٩٩٧.
٤٨- عمدة المفيد وعدة المجيد للسخاوي، ضمن (مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعدِّ الآي)، تح. جمال السيد رفاعي، راجعها د. محمد عبد الواحد الدسوقي
٤٩- العين، للخليل بن أحمد، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهم السامرائي ، ط. دار ومكتبة الهلال .
٥٠- غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ط. دار ابن الجوزي بالقاهرة، الثالثة.
٥١- الفرق بين الضاد والظاء ، أبو عمرو الداني، تح. د. حاتم صالح الضامن، ط. دار البشائر – سوريا.

٥٢- الفرق بين الظاء والضاد لأبي القاسم الزنجاني ، تح. د. حاتم الضامن، ط. دار البشائر / دمشق، الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٥٣- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، عبد الله خورشيد البري، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.
٥٤- الاقتصاد في النطق بالضاد، عبد الغني النابلسي (مخطوط) بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو.
٥٥- القول المألوف في معرفة بيان مخارج الحروف، محمد بن نصر المصري، تح. د. محسن العميري، ط. مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودي، الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٥٦- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار الفكر العربي – القاهرة، الثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٥٧- الكتاب ، لسيبويه ، تح. عبد السلام محمد هارون ، ط. الخانجي – القاهرة ، الثالثة ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م .
٥٨- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تح. د. شوقي ضيف ، ط. دار المعارف بمصر.
٥٩- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني، ط. دار إحياء التراث العربي-بيروت، الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٦٠- لسان العرب، لابن منظور، تح. عبد الله علي الكبير وآخرين – دار المعارف .
٦١- لطائف الإشارات، للقسطلاني، تح. الشيخ عامر السيد عثمان ، د. عبد الصبور شاهين ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢ م .
٦٢- متن الشاطبية- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للشاطبي، تح. محمد تميم الزعبي ، ط. مكتبة دار الهدى ، ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ، الرابعة ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م.
٦٣- المحكم، لابن سيده ، تح. عبد الستار أحمد فراج، ط. معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة، الأولى، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
٦٤- المختصر في أصوات اللغة العربية ، د. محمد حسن جبل ، ط. مكتبة الآداب ، الأولى ١٤٢٩ هـ /٢٠٠٩ م .

٦٥- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. المؤلف: رمضان عبدالتواب ، ط. مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .
٦٦- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلَّق بالكتاب العزيز، لأبي شامة، تح. إبراهيم شمس الدين ، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٦٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل (فرق)، ط. عالم الكتب، الأولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
٦٨- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط. مكتبة نزار مصطفى الباز.
٦٩- المفصل في صنعة الإعراب ، للزمخشري ، تح. د. علي بو ملحم ، ط. مكتبة الهلال – بيروت ، الأولى ١٩٩٣ .
٧٠- المفيد في شرح عمدة المجيد ، للحسن بن أم قاسم ، تح. جمال السيد رفاعي وآخرين ، ط. مكتبة أولاد الشيخ للتراث .
٧١- مقاييس اللغة، لابن فارس ، تح. عبد السلام هارون، ط. دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٧٢- المقتضب، للمبرد، تح. الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .
٧٣- المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، لابن الجزري، تح. د. أيمن سويد ، ط. دار نور المكتبات- جدة، الرابعة،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٧٤- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ط. مكتبة الأنجلو.
٧٥- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري ،ط. دار الكتب العلمية، الأولى،١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.
٧٦- المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ، ملا علي القاري ، تح. فرغلي سيد عرباوي ، ط. مكتبة أولاد الشيخ ، الأولى ٢٠٠٩ م .
٧٧- الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، تح. د. غانم القدوري الحمد، ط. دار عمار بيروت، الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
٧٨- النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، تح. محمد على الضباع ، ط. دار الكتب العلمية – بيروت .
٧٩- نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكي ، مراجعة طه عبدالرءوف سعد، ط. مكتبة الصفا، الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

٨٠- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، الشيخ عبد الفتاح المرصفي ، ط. مكتبة طيبة- المدينة المنورة، الثانية.
٨١- همع الهوامع ، للسيوطي ، تح. عبد السلام هارون، د. عبد الغال سالم مكرم، ط. مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٣٣٧
تمهيد: وقفات لا بد منها..... .... ٣٨٠
الوقفة الأولى: إلامَ نحتكم عند الاختلاف في القراءة؟..... ٣٨٠
الوقفة الثانية: هل كلُّ مَن تلقَّى وسمع يُؤَدِّي كما سمع؟..... ٣٨٣
الوقفة الثالثة: ما ضابط القارئِ المتْقِنِ المقبولِ عند أهل الفن؟..... ٣٨٦
الوقفة الرابعة: ما التجويد؟..... ٣٩٠
الوقفة الخامسة: المعتبر عند أهل القراءة حُسْنُ الصوت أم حُسْنُ الأداء؟..٣٩٣
صوت الهاء..... .... ٣٩٨
صوت العين..... .... ٤٠٧
صوت القاف..... .... ٤١٢
صوت الجيم... .... ٤٢٠
صوت الضاد... .... ٤٢٦
صوت الطاء..... .... ٤٤٤
صوتا الكاف والتاء... .... ٤٥٢
صوت الغُنَّة... .... ٤٦٢
النتائج والتوصيات..... .... ٤٦٦
جريدة المصادر..... .... ٤٦٩
فهرس الموضوعات..... ٤٧٦